بسم الله الرحمن الرحيم

مقرر عقيدة ٣١٨

وفيه خمسة موضوعات:

الموضوع الأول: الإيمان ومسائله.

الموضوع الثاني: القدر.

الموضوع الثالث: اليوم الاخر.

الموضوع الثالث: الصحابة.

الموضوع الخامس: الإمامة.

الموضوع الأول: الإيمان ومسائله:

مقدمة :

تعتبر مسائل الإيمان وأحكامه وما يتعلق به من أهم مسائل الدين وأعظمها ، نظراً لعِظَم شأنها وكبير فضلها، وكذلك للخلاف الكبير الذي وقع فيها سواء في مسألة تعريف الإيمان ودخول الأعمال فيه أو في مسألة زيادته ونقصانه أو مسألة حكم مرتكب الكبيرة أو في مسألة الصحابة أو الإمامة والخروج وهي مسائل عظيمة ومتفرعة .

أولاً : أهمية الإيمان :

للإيمان أهمية كبرى في الدين إذ هو أحد مبانيه العظام ومراتبه الجسام، وإذا أُفرد شمل الدين كله .

وهو حياة الأرواح وقوت القلوب وهو الهدى والنور وبه يستجلب العبد الأمن والسعادة والهداية والحياة الطيبة والنجاة من العذاب في الدنيا والآخرة .

وبه ينعم صاحبه بمعية الله تعالى ونصرته وولايته وبه يكون التثبيت عند الممات وعند السؤال وبه تكفّر السيئات وتضاعف الحسنات .

وبه يرضى المولى جل وعلا عن العبد ويدخله الجنة وينجيه من النار .

ولا أدل على أهمية الإيمان من كثرة وروده في الكتاب والسنة وتكراره فيها ومن هذه الأدلة :

قوله جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾[1].

ويقول سبحانه:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾[2]فهو الهدى والنور والحياة.

ويقول سبحانه: ﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[3]، فأهله لا يصيبهم الخوف ولا الحزن بل هم أهل الأمن والطمأنينة، وهذا ما يؤكده قوله جل ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(1) سورة البقرة: الآية (٢٥٧) .

(2) سورة الشورى: الآية (٥٢) .

(3) سورة الأنعام: الآية (٤٨) .

وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [1]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [2].

وهو سبب لرغد العيش في الدنيا يقول ربنا جل وعلا: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [3].

والناس كلهم خاسرون إلا أهل الإيمان قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [4].

وهو سبب للنجاة من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [5]. ويقول جل في علاه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [6].

وبه تكون الهداية إلى الرشاد والعصمة من سبيل الزيغ والفساد قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [7]، ويقول: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [8].

وأصحابه هم أولياء الله وأهل معيته ونصرته قال تعالى: وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [9]، ويقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [10]، ويقول :﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1]،

---

(1) سورة الأنعام: الآية (٨٢) .

(2) سورة النحل: الآية (٩٧) .

(3) سورة الأعراف: الآية (٩٦) .

(4) سورة العصر: الآية (١-٣) .

(5) سورة يونس: الآية (١٠٣) .

(6) سورة الصف: الآية (١٠-١١) .

(7) سورة التغابن: الآية (١١) .

(8) سورة البقرة: الآية (٢١٣) .

(9) سورة آل عمران: الآية (٦٨) .

(10) سورة محمد: الآية (١١) .

وهذه هي المعية الخاصة المستلزمة للنصر والتوفيق والإعانة يقول سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[٢].

وأهله هم أهل العزة والقوة يقول ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

وهم خير الناس بشهادة الرب جل وعلا إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[٤].

وينال أهله التثبيت من الله تعالى عند الممات وعند سؤال الملكين في القبر يقول جل في علاه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[٥].

وكذلك فالإيمان سبب لرضوان الله تعالى ودخول جنته والنجاة من ناره، يقول جل وعلا: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[٦] ويقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾[٧].

ولأهمية الإيمان وعظم أمره فقد اهتم العلماء به وصنفوا فيه كتباً وجعلوا له أبواباً تبين مسائله وأحكامه[٨].

ولقد كانت مسائل الإيمان من أعظم ما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة ومخالفيهم وترتب على ذلك

---

(١) سورة الأنفال: الآية (١٩) .

(٢) سورة غافر: الآية (٥١) .

(٣) سورة المنافقون: الآية (٨) .

(٤) سورة البينة: الآية (٧) .

(٥) سورة إبراهيم: الآية (٢٧) .

(٦) سورة البقرة: الآية (٢٥) .

(٧) سورة البينة: الآية (٧-٨) .

(٨) أفرد بعض العلماء مسائل الإيمان بتآليف مستقلة ومنهم : أبو عبيد القاسم بن سلام و أبو بكر عبدالله بن أبي شيبة والعدني وابن منده وابن تيمية، كما أن منهم من جعل له أبواباً في كتبهم مثل ابن أبي شيبة في مصنفه: (١١/٥-٨٥)، ومسلم في صحيحه (جـ ١-٣/١٢١-٤٥٣)، والترمذي في جامعه: (٤/٣٥١-٣٨٤)، والنسائي في سننه: (٨/٩٣-١٢٦)، وابن ماجه في سننه: (١/٢٢-٢٨) والحاكم في مستدركه (١/٣-٨٥) . وغيرهم

أمور عظيمة ووقائع وأحداث .

ثانياً : مسمى الإيمان ودخول الأعمال فيه

للإيمان في اللغة استعمالان :

الأول: أن يتعدى بنفسه: فيقال: أمنت فأنا آمِن وآمنت غيري من الأمن والأمان، والأمن ضد الخوف وآمنته ضد أخفته، وأمّنته أي جعلت له الأمن، فيكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان قال تعالى : ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [1].

الثاني: أن يتعدى بالباء أو اللام: فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، ومعناه التصديق قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾[2]، أي بمصدق لنا يقال: آمنت بكذا أي صدقت به[3].

فالإيمان في اللغة بمعنى التصديق لكنه ليس مطلق التصديق بل هو تصديق خاص مقيد؛ إذ هو التصديق الذي معه أمن وثقة كما أن الإيمان ضده الكفر وليس التكذيب الذي هو ضد التصديق .

والخلاصة: أن الإيمان في اللغة بمعنى التصديق الذي معه أمن وثقة [4].

---

(1) سورة قريش: الآية (٤) .

(2) سورة يوسف: الآية (١٧) .

(3) انظر: تعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (٦٩٥/٢)، والتبصير في معالم الدين، للطبري: ص(١٩٠)، وتهذيب اللغة، للأزهري: (٥١٣/١٥-٥١٤)، والإبانة الصغرى، لابن بطة: ص(١٩٩-٢٠٠)، والصحاح، للجوهري: (٢٠٧١/٥)، ومفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني: ص(٩١)، ومسائل الإيمان، للقاضي أبو يعلى: ص(١٥١)، والجامع لشعب الإيمان، للبيهقي: (١٠٣/١-١٠٧)، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: (٧٠/١)، ولسان العرب، لابن منظور: (٢٢٣/١-٢٢٤)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: ص(١٥١٨)، وقد نقل الأزهري إجماع أهل اللغة وغيرهم على ذلك فقال: " واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق ... ". تهذيب اللغة: (٥١٣/١٥-٥١٤) .

(4) انظر: مفردات القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني: ص(٩١)، ومسائل الإيمان، لأبي يعلى: ص(١٥١)، ولسان العرب: (٢٢٣/١)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٢٢/٧) وما بعدها و(٢٨٩/٧) وما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز: (٤٧١-٤٧٤)، والقاموس المحيط: ص(١٥١٨).

وأما تعريف الإيمان في الشرع :

فلقد اختلفت عبارات السلف فيه، فمن قائل أنه (قول وعمل)، وقائل (قول وفعل)، وقائل (قول وعمل ونية)، وقائل (قول وعمل ونية وسنة)، ومنهم من قال (قول وعمل ونية وإصابة)، وقائل (تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح)، ومنهم من قال (جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، فالباطنة أعمال القلب والظاهرة أعمال البدن)، ومنهم من قال (قول وعمل وعقيدة)، وقائل (قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح) [1].

ولا تعارض بين هذه التعريفات كلها فمجملها أن الإيمان شامل لعمل القلب واللسان والجوارح، يقول ابن تيمية رحمه الله : " والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يُفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال قول وعمل ونية قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يُفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة ... كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الإيمان ما هو ؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة " [2].

وخلاصة الأمر أن الإيمان هو تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح.

• دخول الأعمال في مسمى الإيمان :

مما سبق يتضح جلياً أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان وأنها جزء منه وليست خارجة عنه والأدلة على ذلك كثيرة[3]، ومنها :

---

(1) انظر: أصول السنة، للحميدي: ص(٤٩)، والإيمان، لأبي عبيد: ص(١٩)، والإيمان، لابن أبي شيبة: ص(٥٠)، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي: (١/٦٣-٦٤)، والجامع الصحيح، للبخاري: (١/١٠)، والتبصير في معالم الدين، للطبري: (١٩٠-١٩٣)، وشرح السنة، للبربهاري: ص(٦٧)، والشريعة، للآجري: (٢/٦١١)، وأصول السنة، لابن أبي زمنين: ص(٢٠٧)، ومسائل الإيمان، لأبي يعلى: ص(١٥٢)، وشرح السنة، للبغوي: (١/٧٤)، والعقيدة الواسطية، لابن تيمية بشرح الهراس: ص(٢٣١) .

(2) مجموع الفتاوى: (٧/١٧٠-١٧١) .

(3) انظر: الإيمان، لابن أبي شيبة، وتعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (١/٣٦٧-٤٨٦)، والسنة، للخلال: (٤/١٩-٤٩)،

- النصوص الدالة على عمل القلب ومنها : قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾[1] ، وقوله ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين... » [2]، فبين أن الإيمان يكون في القلب وأنه ينتفي عنه .

- الأدلة على عمل اللسان ومنها : قوله جل وعلا: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ... ﴾ [3].

وقوله عليه السلام : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ... » [4]، فجعل قول اللسان فرضاً واجباً يدخل الناس به الدين .

- الأدلة على عمل الجوارح ومنها : قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [5]، وقوله ﷺ -كما في الحديث السابق- : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

فجعل من الإيمان وجل القلب عند ذكر الله والتوكل والصلاة والإنفاق واستقبال القبلة وغيرها جعلها كلها من الإيمان .

والشريعة، للآجري: (٢/٦١١-٦٣٧)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٢/٧٦٠-٨٠٢)، والإيمان، لابن منده: (٢/٢٩٤) وما بعدها، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٤/٨٨٩-٩٢٣)، والجامع لشعب الإيمان، للبيهقي: (١/١١٩-١٣٢)، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة: (١/١٥٩-١٦٧) .

(١) سورة المائدة: الآية (٤١) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ : (٤/٥١٤) (١٩٧٩٩)، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في الغيبة: (٥/٣٠٥) (٤٨٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/١٣٢٢-١٣٢٣) (٧٩٨٤) .

(٣) سورة البقرة: الآية (١٣٦) .

(٤) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة: (١/٨٧) برقم (٣٩٢).

(٥) سورة الأنفال: الآية (٢-٤) .

– وقد جاءت بعض النصوص بجميع هذه الأركان مثل قوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »[1]، فقول لا إله إلا الله عمل للسان وإماطة الأذى عمل للجوارح والحياء عمل للقلب.

ويقول كذلك ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[2]، فذكر الإنكار باليد واللسان والقلب وعدّ ذلك كله من الإيمان[3].

– وكذلك كل الأدلة التي تثبت أن الإيمان شعب وأنه يزيد وينقص كلها تدل على دخول الأعمال في مسماه، إذ شعب الإيمان إنما هي أعمال للقلب واللسان والجوارح يزيد الإيمان بفعلها وينقص بتركها .

- والآثار عن السلف في تقرير دخول الأعمال في مسمى الإيمان كثيرة جداً[4]، بل لقد حكى كثير من العلماء الإجماع على ذلك[5].

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان وشعبه وفضل الحياء: (٢/٢٠٢-٢٠٣) برقم (٥٨).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان: (٢/٢١٦-٢١٩) برقم (٧٨) .

(3) للمزيد من التفصيل في الأدلة انظر: الشريعة، للآجري: (٢/٦١١-٦١٥)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٢/٧٦٠-٧٧٢)، والإيمان، لابن منده: (١/١٥٤، ١٥٦، ٢/٣٣١-٣٣٢، ٤٣٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٤/٩١١-٩١٣) .

(4) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، للأحمدي: (١/٨١-٨٤)، والإيمان، لابن أبي شيبة، والسنة، لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/٣٠٧)، والشريعة، للآجري: (٢/٦٣٨-٦٤٣)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٢/٨٠٣-٨٢٧)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٤/٩٢٣-٩٣٣، ٥/٩٥٥-٩٥٩، ٩٨١-١٠١١)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني: (٢٦٦-٢٧٦) .

(5) حكاه الشافعي. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٥/٩٥٦-٩٥٧) برقم (١٥٩٣)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في الإيمان: ص(١٩)، ونقله عنه وعن إسحاق بن راهويه ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى: (٧/٣٠٨-٣١١)، وكذلك نقل الإجماع الطبري في صريح السنة: ص(٢٥)، والآجري في الشريعة: (٢/٦١١)، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (الإيمان): (٢/٧٦١)، وابن أبي زمنين في أصول السنة: ص(٢٠٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٤/٩١٣)، والداني في الرسالة الوافية: ص(٨١)، والصابوني في عقيدة السلف: ص(٢٦٤)، وابن عبدالبر في التمهيد: (٩/٢٣٨)، والبغوي في شرح السنة: (١/٧٤)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى: (٧/٦٧٢)، والواسطية (بشرح الهراس): ص(٢٣١)، وابن رجب في فتح الباري: (١/٥) .

ويقرر أهل السنة أن الإيمان اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أعلى وأدنى، فالإسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها وأن كل شعبة منه تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذا الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء واليقين والإخلاص وغيرها، فالطاعات كلها من شعب الإيمان يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [1].

ويقول المصطفى ﷺ : ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)) .

فهذه النصوص تثبت أن الإيمان درجات بعضها فوق بعض وأن له أعلى وأدنى وأول وآخر، فأوله وأعلاه وأفضله قول لا إله إلا الله، وأدناه وآخره إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين المترلتين منازل متفاوتة ودرجات متفاضلة يختلف فيها الخلق على قدر التزامهم بأمر الله تعالى وازديادهم من الطاعات وبعدهم عن المحرمات [2].

والأدلة على ذلك كثيرة [3].

وقد اجتهد بعض العلماء في جمع هذه الشعب وسردها – مع أنه لم يرد في ذكرها نص معين –

---

(1) سورة المؤمنون: الآية (١-١١) .

(2) انظر: الإيمان، لأبي عبيد: ص(١٩)، والشريعة، للآجري: (٥٧٦/٢)، ومعالم السنن، للخطابي: (٢٨٨/٤)، والإيمان لابن منده: (٤٤٨/٢-٤٥٤)، وشرح النووي لصحيح مسلم: (١٢٢/١)، والصلاة، لابن القيم: ص(٣٧-٣٨)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز: ص(٤٧٦) .

(3) كل النصوص الدالة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان وأنه يزيد وينقص دالة كذلك على أن الإيمان شعب، إذ كل عمل صالح فهو من شعب الإيمان وإنما يزيد الإيمان أو ينقص بفعل شعبة من شعب الإيمان أو ترك شيء منها . وانظر كذلك: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٦٤٧/٢-٦٦٨)، والإيمان، لابن منده: (٢٩٤/٢-٣٠٤، ٣٥٠-٣٦٣)، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٩٨١/٥-١٠١١)، والحجة، لقوام السنة: (١٥٩/٢-١٦٤) .

وذكر الأدلة عليها[1] حتى أن بعضهم ألّفوا كتباً خاصة بذلك[2].

ثالثاً: زيادة الإيمان ونقصانه:

يقرر أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد كلما أطاع العبد ربه جل وعلا وفعل شعبة من شعب الإيمان، وينقص كلما عصى الله جل وعلا وارتكب شعبة من شعب الكفر.

وقد تكلم العلماء كثيراً في هذه المسألة فلا يكاد يخلو كتاب من كتب السلف التي ذكرت باب الإيمان إلا ولهم في هذه المسألة بيان وتقرير[3]، والأدلة على هذه المسألة كثيرة جداً منها:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[4].

- وقوله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[5].

- وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[6].

---

(1) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٢/٦٥٠-٦٥٣)، والإيمان، لابن منده: (٢/٣٦٢-٣٦٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٥/٩٨١-١٠١١)، وفتح الباري، لابن حجر: (١/٥٢-٥٣).

(2) مثل كتاب المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، والجامع لشعب الإيمان للبيهقي.

(3) انظر: الإيمان، لأبي عبيد: (٢٤-٢٦)، والإيمان، لابن أبي شيبة: ص(٥٠)، والإيمان، للعدني: ص(٩٤)، وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على الزيادة والنقصان (٥/٢١٦-٢٢٠)، وسنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، زيادة الإيمان (٨/١١٢-١١٤)، والتبصير في معالم الدين، للطبري: (١٩٧-١٩٩)، وشرح السنة، للبربهاري: ص(٦٧)، والإبانة، للأشعري: ص(١٠)، والإبانة الصغرى، لابن بطة: (١٩٣-١٩٥)، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة: (١/٤٣٩-٤٤٠)، وشرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية: (٢٢٨-٢٣١)، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز: (٤٦٦-٤٧٠).

(4) سورة الأنفال: الآية (٢-٤).

(5) سورة التوبة: الآية (١٢٤).

(6) سورة الفتح: الآية (٤).

- وأما الأحاديث فمنها: قوله ﷺ في شأن النساء: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » قلن: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ قال: « ... أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم »، قلن: بلى، قال: « فذلك من نقصان دينها »[1]، فإذا كانت المرأة لنقصان صلاتها عن صلاة الرجال تكون أنقص ديناً منهم مع أنها غير جانية بترك ما تترك من الصلاة أفلا يكون الجاني بترك الصلوات أنقص ديناً من المقيم لها المواظب عليها؟ فمن قدر على واجب وفعله فهو أفضل ممن عجز عنه وتركه وإن كان معذوراً في تركه فالإيمان ينقص بنقصان الطاعات ويزيد بزيادتها[2].

- ومن الأدلة أيضاً حديث حنظلة ﷺ قال: « لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا ثم ذهبا إلى رسول الله ﷺ وذكرا له ذلك، فقال: والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة »[3]، فأبو بكر وحنظلة رضي الله عنهما كانا يشعران بزيادة الإيمان في مجالس الذكر والوعظ وبنقصه عندما يرجعون إلى دنياهم وأولادهم ونساءهم .

- ومن الأدلة كذلك حديث شعب الإيمان ، فهو دال على زيادة الإيمان ونقصانه، إذ أن الإيمان شعب متفاوتة ودرجات متعددة ويتفاوت الخلق في إيمانهم زيادة ونقصاً بحسب ما يقومون به من تلك الشعب والخصال .

- ومما يدل على تفاوت شعب الإيمان وخصاله حديث عبدالله بن مسعود ﷺ مرفوعاً: « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو

---

(1) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم: (٦٨/١) برقم (٣٠٤) .

(2) انظر: الإيمان، للعدني: ص(١٠١)، والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي: (٦٣/١)، وشرح السنة، للبغوي: (٧٤/١)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (٢٥١/٢)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب: (١٩٧/٢) .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة: (٢٢٢/١٧-٢٢٣) (٢٧٥٠) .

مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1].

وهذا دال على أن من قدر على خصلة من خصال الإيمان وفعلها كان أفضل ممن تركها عجزاً ويدل على أن الإيمان ينقص حتى لا يبقى في القلب منه شيء[2].

- بل إن بعض الذنوب والمعاصي تنقص الإيمان حتى لا يبقى منه شيء فيترع من صاحبه، يقول ﷺ : «لا يزني الزاني حيث يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[3].

فالإيمان لا نهاية له فيزيد إلى ما شاء الله أن يزيد[4]، وينقص حتى لا يبقى منه شيء[5].

- وكل الأدلة التي تدل على زيادة الإيمان تدل على نقصانه والعكس، وذلك لأن كل قابل للزيادة قابل للنقص ولا يُتصور أن يكون شيء قابلاً للزيادة غير قابل للنقص، فكما يزيد ينقص، لأن الزيادة أصلاً لا تكون إلا عن نقص فمن لم تحصل له الزيادة فإيمانه أنقص من إيمان من حصلت له[6].

قيل لسفيان بن عيينة رحمه الله : "الإيمان يزيد وينقص؟ قال: أليس تقرؤون القرآن ﴿ فَزَادَهُمْ

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان: (٢/٢٢٠-٢٢١) (٥٠).
ومن الأدلة أيضاً: حديث « من رأى منكم منكراً فليغيره ... »، وقد تقدم تخريجه .

(2) انظر: الإيمان، لابن منده: (٢/٣٤٥-٣٤٦)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب: (٢/١٩٧) .

(3) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه: (٣/١٣٦) برقم (٢٤٧٥). وقد استدل الإمام أحمد رحمه الله بهذا الحديث في الرد على المرجئة في هذه المسألة. انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، للأحمدي: (١/٩٥).

(4) انظر: شرح السنة، للبربهاري: (٦٧)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٢/٨٣٤).

(5) ثبت هذا عن ابن عيينة : انظر: الإيمان، للعدني: ص(٩٤) (٢٨)، والشريعة، للآجري: (٢/٦٠٧) (٢٤٤)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٢/٨٥٤-٨٥٥) (١١٥٥).
وثبت أيضاً عن إسحاق بن راهويه : انظر: السنة، للخلال: (٣/٥٨٢) (١٠١١).
وثبت عن ابن منده : انظر: الإيمان: (٢/٣٤٥).
وعن البربهاري. انظر: شرح السنة: ص(٦٧).

(6) انظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري: (١/٥٦) .

إِيمَـٰنًا ﴾[1] في غير موضع؟! قيل: ينقص؟ قال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص" [2].

وقال الإمام أحمد رحمه الله : "إن كان قبل زيادته تاماً فكيف يزيد التام؟ فكما يزيد كذا ينقص" [3].

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : "وبثبوتها -أي الزيادة- يثبت المقابل، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة" [4].

بل يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله : "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع" [5] [6].

فهذا مذهب أهل السنة في الإيمان أنه يزيد وينقص، والأدلة عليه كثيرة والآثار عن السلف متوافرة[7].

---

(1) سورة آل عمران: الآية (١٧٣) .

(2) الشريعة، للآجري: (٢/٦٠٥) (٢٤٠)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٢/٨٥٠) (١١٤٢) .

(3) السنة، للخلال: (٣/٥٨٨) (١٠٣٠) .

(4) فتح الباري: (١/٤٧) .

(5) الشريعة، للآجري: (٢/٦٠٧) (٢٤٥) .

(6) ثبت عن الإمام مالك أنه قال بزيادة الإيمان ونقصانه. انظر في ذلك: السنة، لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/٣١٧) (٦٣٦)، (١/٣٤٢-٣٤٣) (٧٢٦)، والسنة، للخلال: (٣/٥٨٢) (١٠١٤)، (٣/٥٩١-٥٩٢) (١٠٤٣)، (٣/٦٠٨) (١٠٨٢)، والشريعة، للآجري: (٢/٦٠٦) (٢٤٣)، والرسالة الوافية ، للداني: ص(٨٤-٨٥)، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري: (١/٥٧)، والتمهيد، لابن عبدالبر: (٩/٢٥٢)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢٣)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٥٠٦) .

(7) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، للأحمدي: (١/٨٩-١٠٤)، والسنة، لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/٣٠٧) وما بعدها، والسنة، للخلال: (٣/٥٦٤-٥٦٥، ٥٨١-٥٩٣)، والشريعة، للآجري: (٢/٥٨٠-٦١٠)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٢/٨٣١-٨٦١)، وأصول السنة، لابن أبي زمنين: (٢١١-٢٢٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٥/٩٦٠-٩٨٠، ١٠١٢-١٠٣٦)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني: (٢٦٥-٢٧٦)، والجامع لشعب الإيمان، للبيهقي: (١/١٥٩-٢٠٩)، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة: (٢/١٥٩-١٦٧) .

وقد حكى كثير من العلماء الإجماع على ذلك [1].

فالإيمان يزيد بأداء الفرائض وفعل الواجبات وترك المحرمات ويزيد بزيادة العلم وحسن الخلق وأعمال البر والتقوى والصالحات سواء كانت من أعمال القلوب أو اللسان أو الجوارح، وينقص بالغفلة والنسيان وترك الواجبات وفعل المعاصي والمنكرات والتفريط في أعمال البر والخيرات[2].

وكما أن أعمال اللسان والجوارح تزيد وتنقص فكذلك أعمال القلوب تتفاضل وتزيد وتنقص، تزيد بالتدبر والتفكر وبكثرة أعمال القلوب، فإيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم ومراتب الدين متفاوتة، فدرجة الإسلام أقل من درجة الإيمان ودرجة الإيمان أقل من درجة الإحسان، ولا يزال إيمان العبد في زيادة ونقص وارتفاع وانخفاض حتى يلقى ربه وقد نفى الرب ﷻ عن الأعراب استحقاقهم لمنزلة الإيمان وأثبت لهم اسم الإسلام فقال سبحانه: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [3]، فنفى رسوخ الإيمان في القلب مع كونهم مسلمين ولديهم نوع إيمان يصحح لهم العمل إذ لولا هذا القدر من الإيمان لم يكونوا مسلمين .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [4]،وكل هذا يثبت تفاضل الإيمان الذي في القلوب وزيادته ونقصانه[5].

---

(1) تقدم ذكر كثير منها عند حكاية الإجماع على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأُضيف هنا ما لم يُذكر هناك أوما كان فيه اختلاف في أرقام الصفحات: اعتقاد أئمة الحديث، للإسماعيلي: (٦٣-٦٤)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): (٨٣٢/٢)، وأصول السنة، لابن أبي زمنين: (٢١١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٩٦٠/٥) وما بعدها، والرسالة الوافية، للداني: ص(٨٣)، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري: (٥٦/١)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٢٢٣/٧-٢٢٤، ٥٠٥) .

(2) بوّب الإمام ابن منده في كتاب الإيمان: ذكر الخصال التي إذا فعلها المسلم ازداد إيماناً: (٤٤١/٢) وقال: "ذكر الأعمال التي يستحق بها العامل زيادة إيمانه والتي توجب النقصان"، (٥٤١/٢).

(3) سورة الحجرات: الآية (١٤) .

(4) سورة الأنفال: الآية (٢-٤) .

(5) انظر: الإيمان، لأبي عبيد: (١٨-١٩)، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، للأحمدي: (١٠٤/١)،

ويتفرع عن مسألة زيادة الإيمان ونقصانه مسألة تفاضل المؤمنين في إيمانهم، وذلك حسب أعمالهم كثرة وقلة إحساناً وإساءة، فالمحسن أفضل وأكثر إيماناً من المسيء، وكذلك المكثر أعلى إيماناً من المقلّ [1].

رابعاً: علاقة الإيمان بمسمى الإسلام:

والمراد بهذا المبحث بيان معنى كل من الإيمان والإسلام وما بينهما من اتفاق وافتراق .

وهي من المسائل التي كثر كلام الناس عنها وكثر غلطهم فيها، وذلك لكثرة النصوص التي في الكتاب والسنة التي ذكرت الإيمان والإسلام، فهي كثيرة ومختلفة مطلقة ومقيدة، وكلام العلماء كثير في هذه المسألة وقلّ من تكلم عن الإيمان ولم يتطرق إلى هذه المسألة[2].

* وبسبب اختلاف النصوص الواردة في الإسلام وتنوعها كان الخلاف بين أهل السنة في الإسلام والإيمان هل هما مترادفان فيكون كلاهما اسمان لمسمى واحد؟ أم هما متغايران ولكل واحد منهما معناه وحقيقته؟ وهذان هما قولا أهل السنة في الإسلام والإيمان[3]:

وسنن النسائي [كتاب الإيمان وشرائعه، تفاضل أهل الإيمان]: (٨/١١١-١١٢)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢٤-١٢٥)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٢٣٥)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب: (١/٦٤-٦٥) .

وقد كان بعض السلف يقول أن الإيمان [يتفاضل] وهو نفس معنى قولنا [يزيد وينقص] إذ ما من شيء يتفاضل إلا وفيه الزيادة والنقصان . انظر : المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة لعبدالإله الأحمدي (١/٩٣) .

(١) انظر: الإيمان، لابن منده: (٢/٤١٢-٤٢٢) .

(٢) حتى أن بعض المحدثين يذكرونه في كتب الحديث منهم معمر بن راشد ذكره في كتابه الجامع [باب الإيمان والإسلام] : (١١/١٢٦-١٣١)، وابن أبي شيبة في المصنف في كتاب الإيمان والرؤيا [ما ذكر في الإيمان والإسلام وما قالوا في صفة المؤمن]: (١١/٥-١١)، والنسائي في السنن في كتاب الإيمان وشرائعه: (٨/٩٧-١٠٤) .

(٣) انظر في ذكر الخلاف وأدلة كل فريق وردّ كل منهما على الآخر: تعظيم قدر الصلاة، للمروزي في مواضع عديدة منه، والإيمان، لابن منده: (١/١٢٠-١٢٦، ٢/٣١١-٣٢٦)، والفصل، لابن حزم: (٣/٢٦٩-٢٧١)، والجامع لشعب الإيمان، للبيهقي: (١/١٣٣-١٥٧)، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة: (١/٤٤١-٤٥٤)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢١-١٢٤)، وأغلب المجلد السابع من مجموع الفتاوى لابن تيمية، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز: (٤٨٧-٤٩٤)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب: (١/٦٠-٦٢)، وفتح الباري، لابن حجر: (١/١١٦-١٢٣،

فالطائفة الأولى: قالت: الإسلام والإيمان مترادفان وهما اسمان لمسمى واحد.

وممن رأى هذا الرأي: كل من البخاري، ومحمد بن نصر المروزي[1]، وابن حبان[2]، وابن منده[3]، والبيهقي[4]، وابن عبد البر[5]، وغيرهم -رحم الله الجميع-.

واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[6]، وقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[7]، وقوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[8].

وهذه النصوص تدل على أن الإيمان المقبول الذي وعد الله عليه الثواب هو الإسلام؛ لأنه لو كان غير الإسلام لكان من دان الله بالإيمان غير مقبول منه إياه، فلما اجتمعت الأمة على أن من دان الله بالإيمان أن ذلك يقبل منه ثبت بذلك أن الإيمان هو الإسلام وهو الدين المرتضى[9].

- أن الله تعالى أمر بهذا الدين فقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[10]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[11]، فدل ذلك على أن الله تعالى لا يقبل إلا هذا الدين، ولو لم

١٨٩-١٩٢)، وفتح الباري، لابن حجر: (١/١١٤-١١٥)، وحجة الله البالغة، للدهلوي: (١/٣٦٩-٣٧٣).

(١) تعظيم قدر الصلاة: (٢/٥٢٩).

(٢) صحيح ابن حبان: (١/٣٧٤-٣٩١).

(٣) الإيمان: (٢/٣٢١-٣٢٦).

(٤) الجامع لشعب الإيمان: (١/١٣٣-١٥٧).

(٥) التمهيد: (٩/٢٥٠).

(٦) سورة آل عمران: الآية (١٩).

(٧) سورة المائدة: الآية (٣).

(٨) سورة البقرة: الآية (١٣٢).

(٩) انظر: تعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (١/٣٤٤-٣٤٥).

(١٠) سورة البينة: الآية (٥).

(١١) سورة آل عمران: الآية (٨٥).

يكن الإيمان هو هذا الدين وهو الإسلام لما قَبِلَه الله تعالى فدلّ على ترادفهما .

- قوله تعالى في قصة لوط عليه السلام : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، فالله جل وعلا وعد أن يخلص من آمن من قوم لوط ثم أخبر أنه قد فعل ذلك بمن وجده فيهم من المسلمين إنجازاً للموعد، فدل الإسلام على الإيمان فثبت أن معناهما واحد وأن المسلمين هم المؤمنون[2].

- استدلوا بتلازم الإيمان والإسلام فلا يعقل إسلام بلا إيمان ولا إيمان بلا إسلام، فلا بد للمؤمن أن يكون معه إسلام ولا بد للمسلم أن يكون معه إيمان، فدل على اتفاق مسماهما وترادفهما .

الطائفة الثانية: وهم القائلون بتغايرهما وأن لكل واحد حقيقة ومعنى، وقد اختلف هؤلاء في بيان حقيقة كل واحد منهما على آراء عدة منها :

- قول من يقول: أن الإسلام: الكلمة، والإيمان: العمل. وهذا القول مشهور عن الزهري رحمه الله[3].

ومعنى قوله: أنه بالكلمة يدخل الإنسان في الإسلام، وليس مراده أنه يكون مسلماً بمجرد الكلمة [4].

- قول من يقول: أن الإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة والإيمان يطلق على الأعمال الباطنة [5].

- قول من يقول: أنهما إذا ذكر معاً صار لكل واحد منهما معنى، وإذا ذُكر أحدهما شمل الآخر أي

---

(1) سورة الذاريات: الآية (٣٥-٣٦) .

(2) انظر: معالم السنن، للخطابي: (٤/٢٩٠) .

(3) انظر قوله وموقف العلماء من هذا القول في: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي: (١/١٠٨)، وسنن أبي داود[كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه]: (٥/٢١٧-٢١٨) (٤٦٤٩)، وتعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (٢/٥٠٦-٥٠٧)، والسنة، للخلال: (٤/١٢-١٣)، ومعالم السنن، للخطابي: (٤/٤٩٠، ٤٩٥)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٤/٨٩٢) (١٤٩٣)، والتمهيد، لابن عبدالبر: (٩/٢٥٠)، وفتح الباري، لابن حجر: (١/٨١-٨٢) .

(4) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٢٥٨-٢٥٩) .

(5) انظر: شرح السنة، للبغوي: (١/٨٠)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢٤)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٢٥٩و ٢٦٣)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب: (١/٦١) .

كما يقال: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا) [1].

- قول من يقول: أن مرتبة الإيمان أعلى من مرتبة الإسلام، فالإسلام عام والإيمان خاص فكل مؤمن لا بد أن يكون مسلماً ولا يلزم أن يكون كل مسلم مؤمناً[2].

وقد استدل المفرّقون بين معنى الإسلام والإيمان بأدلة كثيرة منها :

- حديث جبريل السابق فقد جعل مراتب الدين ثلاثة الإسلام ثم أعلى منه الإيمان ثم أعلى منه الإحسان، فإنهما لما اجتمعا في موضع واحد صار لكل واحد منهما حقيقة ومعنى، وخُص الإسلام بأعمال الظاهر والإيمان بأعمال الباطن .

- ومنها حديث وفد عبد القيس فإنهما لما افترقا شمل أحدهما الآخر فشمل الإيمان الإسلام

- ومنها آية الأعراب فقد دلت على أن الإيمان أعلى درجة من الإسلام لذا نفاه عنهم [3] .

- ومنها قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ .. ﴾[4]، وقوله ﷺ في دعاء التهجد بالليل: «...اللهم لك أسلمت وبك آمنت »[5]، ففيه دليل على تغايرهما إذ لو كانا بمعنى واحد لما كان للتفريق بينهما معنى [6].

---

(1) انظر: اعتقاد أئمة الحديث، للإسماعيلي: ص(٦٧)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢١-١٢٢، ١٢٤)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٢٥٩-٢٦٠)، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز: (٤٨٩-٤٩٢)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب: (١/٥٩-٦١) .

(2) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي: (١/١٠٩-١١٠)، والسنة، لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/٣٤٢-٣٤٤)، والسنة، للخلال: (٣/٦٠٢-٦٠٨، ٤/٩-١٥)، والإبانة، للأشعري: ص(١٠)، وتهذيب اللغة، للأزهري: (١٥/٥١٣-٥١٤)، والإبانة الصغرى، لابن بطة: ص(٢٠١)، ومعالم السنن، للخطابي: (٤/٢٩٠-٢٩١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٤/٨٩٢-٨٩٥)، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة: (٢/١٥٤)، وعقيدة الحافظ عبدالغني المقدسي: (٩٢-٩٤)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢٤)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٣٥٧-٣٥٨)، وتفسير ابن كثير: (٣/٤٥٥، ٤/١٩٦)، وشرح العقيدة الطحاوية: ص(٤٨٧) .

(3) تقدم ذكر هذه الأدلة وغيرها في أول هذا المبحث.

(4) سورة الأحزاب: الآية (٣٥) .

(5) أخرجه البخاري في جامعه في أبواب التهجد، باب التهجد بالليل: (٢/٤٨) برقم (١١٢٠) .

(6) انظر: تفسير ابن كثير: (٣/٤٥٥)، وشرح الطحاوية: (٤٩٢-٤٩٣) .

- ومنها قوله تعالى في قصة لوط عليه السلام : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، فكان أهل هذا البيت مؤمنين وكل مؤمن هو بالضرورة مسلم لذا وصفهم بالإيمان والإسلام [2].

- ومنها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إذ قال: « أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس فترك رجلاً هو أعجبهم إليّ فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: أو مسلما ... »[3]، فدلّ ذلك على تغايرهما وإلا لما كان للكلام معنى .

* والحقيقة أن الخلاف في هذه المسألة -ولله الحمد- خلاف يسير لا ينبني عليه خلاف في أمر الاعتقاد، وذلك لأن الخلاف إنما وقع بين أهل السنة وكلهم يقولون بدخول الأعمال في مسمى الإسلام والإيمان ولا يكفّرون أهل الكبائر ولا يخرجونهم من الملة ولا يحكمون بخلودهم في النار بل هم عصاة مسلمون عند كلا الفريقين.

كما أن كلا الفريقين متفقون على أن الإسلام والإيمان بينهما تلازم وأنه لا يصح إسلام بدون أصل الإيمان ولا يوجد إيمان بدون الإسلام، يقول الإمام البغوي رحمه الله بعد أن ذكر حديث جبريل عليه السلام : "جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال: « ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »، والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[6]، فأخبر أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام، ولن يكون الدين في محل

---

(1) سورة الذاريات: الآية (٣٥-٣٦) .

(2) انظر: تفسير ابن كثير: (٢١٢/٤)، وشرح الطحاوية: (٤٩٣) .

(3) الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة: (١٤/١) برقم (٢٧) .

(4) سورة آل عمران: الآية (١٩) .

(5) سورة المائدة: الآية (٣) .

(6) سورة آل عمران: الآية (٨٥) .

القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل" [1].

فلا بد للإسلام من أصل الإيمان وهو التصديق الباطني [2].

* وكذلك فإن هذين الفريقين يتفقان في حال ذكر الإسلام أو الإيمان بمفردهما، فإذا ذكر الإسلام وحده كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[3]، أو ذكر الإيمان وحده كما في قوله تعالى عن عباده الصالحين: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾[4]، فهنا يشمل كل واحد منهما الآخر ويشمل الدين كله، ولا يكون لأحدهما معنى خاصاً، وقد سئل النبي ﷺ عن الإيمان فأجاب بآية البر وهي قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[5]، فلما أُفرد البر شمل الدين كله[6].

وخلاصة الكلام أن الإسلام والإيمان إذا افترقا اجتمعا، فيشمل كل واحد منهما الآخر ويكون معناها واحداً.

* لكن الخلاف إنما هو حال اجتماعهما وذكرهما جميعاً، فالراجح -والله أعلم- هو قول المفرقين بينهما، وذلك لعدة أمور منها :

١) أن الإسلام في اللغة هو الاستسلام والانقياد والطاعة والخضوع، أما الإيمان فهو

---

(١) شرح السنة: (١/٨٠) .

(٢) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (١٥/٥١٣-٥١٤)، ومعالم السنن، للخطابي: (٤/٢٩٠-٢٩١، ٢٩٥-٢٩٦)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢٤)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٣٦٥-٣٦٧)، وشرح العقيدة الطحاوية: (٤٨٦-٤٨٧) .

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٩) .

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٩٣) .

(٥) سورة البقرة: الآية (١٧٧) .

(٦) انظر: تعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (١/٤٢٤) .

التصديق، فلكل منهما معنى في اللغة فكيف نقول أنهما بمعنى واحد؟[1].

٢) أن الوعد في القرآن بالجنة والنجاة من النار إنما هو معلق باسم الإيمان، أما اسم الإسلام مجرداً فما عُلق به في القرآن دخول الجنة، لكن الله فرضه وأخبر أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه، وكل ذلك يدل على التفريق بينهما[2].

٣) أن الآيات والأحاديث والآثار عن السلف إنما تذكر الإيمان عند ذكرها لزيادة الإيمان ونقصانه وانتفائه عند ارتكاب المعاصي، ولم يرد مثل ذلك عند ذكر الإسلام، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، أما الإسلام فلم أر في النصوص والآثار ذكره بذلك مما يدل على اختلافهما وتغايرهما[3].

٤) أن الإنسان إذا عصى الله جل وعلا وارتكب بعض الكبائر خرج من الإيمان إلى الإسلام لكنه لا يخرج من الإسلام ألبتة إلا بارتكابه أحد نواقض الإسلام مما يدل على أن دائرة الإيمان أصغر من دائرة الإسلام، وأنه أخص منه فهو كالثوب يخلع عن صاحبه حال المعصية فإن تاب عاد إلى صاحبه، وكل ذلك دال على تغايرهما واختلافهما[4].

كما أن السلف كانوا يتحرجون من قول (أنا مؤمن)، ولم يكونوا يتحرجون أبداً من قول (أنا مسلم)، وكل ذلك دال على اختلافهما، وأن درجة الإيمان أعلى من درجة الإسلام وأخص منها[5].

* والخلاصة أن الإسلام والإيمان يكونان بمعنى واحد حال افتراقهما فيشمل الواحد منهما الدين

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (١٥/٥١٣-٥١٤)، والإبانة الصغرى، لابن بطة: (١٩٩-٢٠٠)، ومعالم السنن، للخطابي: (٤/٢٩٠-٢٩٦)، وشرح الطحاوية: (٤٨٨-٤٨٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/٢٦٠-٢٦٣)، وشرح الطحاوية: (٤٨٩-٤٩٠).

(٣) انظر: الشريعة، للآجري: (٢/٥٩٣-٥٩٤).

(٤) انظر: المسائل والرسائل والمروية عن الإمام أحمد في العقيدة ، الأحمدي (١٢٧/١) .

(٥) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، للأحمدي: (١/١٠٩-١١٠)، والسنة، لعبد الله بن الإمام أحمد: (١/٣٢٠، ٣٤٢-٣٤٤)، والسنة، للخلال: (٣/٦٠٢-٦٠٨)، والإبانة الصغرى، لابن بطة: ص(٢٠١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٤/٨٩٢-٨٩٥)، وشرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢٤).

كله، وأما إذا اجتمعا معاً فيصبح لكل واحد منهما حقيقة مستقلة فيكون الإسلام اسماً للأعمال الظاهرة ويكون الإيمان اسماً للأعمال الباطنة، وتكون درجة الإيمان أعلى من درجة الإسلام فيكون كل مؤمن مسلم ولا يلزم أن يكون كل مسلم مؤمناً [1].

خامساً: حكم مرتكب الكبيرة:

قبل أن نتحدث عن حكم مرتكب الكبيرة نقدم بمقدمة عن أهمية هذا الموضوع وعن تعريف الكبيرة فنقول:

إن مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة؛ لأن الله جل وعلا قد علّق السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار بهذه الأسماء .

كما أن الاختلاف في مسمياتها هو أول خلاف وقع في هذه الأمة وهو خلاف الخوارج حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية وكفروهم واستحلوا دماءهم .

ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين .

ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم أن الفاسق مؤمن كامل الإيمان [2].

وتسمى هذه المسائل بمسائل (الأسماء والأحكام)، والمراد بالأسماء: الأسماء الشرعية التي أطلقها الشارع على الناس في الدنيا، مثل اسم المؤمن والمسلم والفاسق والكافر، وبما أن هذه الأسماء جاءت من الشارع فيجب أن نأخذ أحكامها منه، وعليه فالمراد بالأحكام : أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة [3].

ويترتب على قضية الأسماء والأحكام مسائل الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغيرها في الدنيا

---

(1) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢٤) .

(2) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب: (١/٦٥)، ومجموع الفتاوى: (٣/١٨٢، ١٢/٤٧٠)، وشرح العقيدة الأصفهانية: ص(٢٢٥)، والعقيدة الواسطية (بشرح الهراس): ص(١٩٠) كلها لابن تيمية.

(3) انظر: مجموع الفتاوى: (١٣/٣٨)، و العقيدة الواسطية (بشرح الهراس): ص(١٩٠) كلاهما لابن تيمية .

ومسألة الوعد والوعيد في الآخرة [1].

* ويُقَسِّم العلماء الذنوب إلى قسمين صغائر وكبائر، وذلك لدلالة الكتاب والسنة على ذلك، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [2]، أي: إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفّرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة [3].

ويقول ﷻ في وصف عباده المحسنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ ﴾ [4].

ويقول جل وعلا: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [5]، والمعنى لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً إلا ضبطه وحفظه [6].

ويقول ﷺ: « أكبر الكبائر: الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور أو شهادة الزور »[7].

ويقول عليه الصلاة والسلام: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » [8]، فهذه كلها تكفر الصغائر من الذنوب لكن بشرط اجتناب الكبائر.

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٢/٤٦٨).

(2) سورة النساء: الآية (٣١).

(3) انظر: تفسير ابن كثير: (١/٤٢٥).

(4) سورة النجم: الآية (٣٢)، وانظر: تفسير ابن كثير: (٤/٢٢٩).

(5) سورة الكهف: الآية (٤٩).

(6) انظر: تفسير البغوي: (٥/١٧٧)، وتفسير ابن كثير: (٣/٨٣).

(7) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾: (٩/٣-٤) برقم (٦٨٧١).

(8) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء: (٣/٤٦٩-٤٧٠) (٢٣٣).

وهذا التقسيم هو قول جماهير العلماء من السلف والخلف[1]، وقد حكى ابن القيم الإجماع عليه[2].

● وأما ضابط الكبيرة فقد اختلف العلماء فيه اختلافاً كبيراً ووردت عنهم أقوال كثيرة[3] ، ولكن لعل أرجح هذه التعريفات وأقربها للصواب هو ما عرفها به حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما إذ قال : « الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب »[4].

فهذا التعريف هو المأثور عن السلف وتدخل فيه كل ما ثبت في النصوص أنه كبيرة، ثم إن الله جل جلاله قال: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[5]. وهذا الوعد الكريم لا يستحقه من أوعد بغضب الله أو لعنته أو ناره أو عذابه[6].

وأما موقف أهل السنة والجماعة من مرتكب الكبيرة[7] فإنهم يقررون أنه من ارتكب كبيرة من الكبائر فقد انتهك محارم الله ووقع في الإثم وعرّض نفسه للوعيد وخرج عن دائرة الكمال فانتفى عنه كمال الإيمان وزينته وبقي له وصف الإسلام فيقال له: مؤمن ناقص الإيمان، فهو مؤمن بإيمانه

---

(1) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم: (٢/٢٦٤)، وفتح الباري، لابن حجر: (١٠/٤٠٩) .

(2) انظر: مدارج السالكين: (١/٢٤٢)، والجواب الكافي: ص(٢٩٩) كلاهما لابن القيم .

(3) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، للأحمدي: (٢/٤٢٠)، وتفسير الطبري: (٥/٣٧-٤٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٦/١١٠٣-١١١٣)، وتفسير البغوي: (٢/٢٠١-٢٠٤)، وشرح النووي لصحيح مسلم: (٢/٢٦٤-٢٦٦)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١١/٦٥٠-٦٥٧)، ومدارج السالكين، لابن القيم: (١/٣٤٧-٣٥٤)، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز: (٥٢٥-٥٢٧)، وفتح الباري، لابن حجر: (١٠/٤١٠-٤١١، ١٢/١٨٢-١٨٤)، والدر المنثور، للسيوطي: (٢/٤٩٨-٥٠٦) .

(4) أخرجه الطبري في تفسيره: (٥/٤١) .

(5) سورة النساء: الآية (٣١) .

(6) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١١/٦٥٠-٦٥٧)، وشرح الطحاوية: (٥٢٥-٥٢٧) .

(7) مقصودنا بالكبائر : المحرمات -دون الشرك- وليس المقصود بها ترك الفرائض إذ [ركوب المحرمات من غير استحلال معصية وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر كفر]، كما قال ابن عيينة رحمه الله ، انظر: السنة، لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/٣٤٧-٣٤٨) (٧٤٥)، وكذا قال نافع، انظر: السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد: (١/٣٨٢-٣٨٣) (٨٣١) .

فاسق بكبيرته، ومع ذلك فإنهم لا يكفّرونه ولا يخرجونه من دائرة الإسلام، هذا حكمه في الدنيا .

وأما حكمه في الآخرة فيقولون أنه إن مات على هذه الكبيرة ولم يتب منها فهو تحت رحمة الله ومشيئته إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه، ثم يخرجه من النار ولا يخلّده فيها، وإنما مصيره إلى الجنة [1].

وأما الأدلة على هذا المنهج فكثيرة جداً ومنها :

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2]، فدلت الآية على أن المعاصي دون الشرك أصحابها تحت مشيئة الله تعالى، فمن شاء غفر له ، ومن شاء عاقبه، وأما المشرك فلا يغفر الله له كما هو صريح في الآية [3].

- ويقول سبحانه في القاتل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾ [4].

- ويقول ﷻ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [5]، وهذا دال على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل؛ لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان وسمى

---

(1) انظر: الإيمان، لأبي عبيد: (٤٠-٤٣)، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، للأحمدي: (١/١٢٦-١٢٩، ٢/١٥٣، ٢١٤)، وتعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (٢/٥٧٧، ٦١٦-٦١٧)، والتبصير في معالم الدين، للطبري: (١٨٠-١٨٦)، وشرح السنة، للبربهاري: (٧٣-٧٤)، والإبانة، للأشعري: ص(١٠)، وأصول السنة، لابن أبي زمنين: ص(٢٢٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٦/١١٢٩)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، الصابوني (٢٧٦-٢٧٨) ، والاعتقاد، للبيهقي: ص(٨٥)، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة: (٢/٢٩١- ٣٠٠)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٢٤١، ٦٧٨-٦٧٩)، والعقيدة الواسطية (بشرح الهراس): (٢٣٣-٢٣٥)، وشرح الطحاوية: (٤٣٢-٤٣٤، ٥٢٤) .

(2) سورة النساء: الآية (٤٨) .

(3) انظر: تفسير الطبري: (١/١٢٥-١٢٦) .

(4) سورة البقرة: الآية (١٧٨) .

(5) سورة الحجرات: الآية (٩-١٠) .

المتقاتلين أخوة وهي أخوة الدين[1]، وكل ذلك دال على أن الكبائر ومن أعظمها القتل لا تخرج من الملة وبالتالي لا تخلّد في النار .

- وكذلك من الأدلة ما ثبت في خروج عصاة الموحدين من النار، ومنها :

- قوله ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ... » [2].

- وكذلك أحاديث الشفاعة يوم القيامة، ومنها شفاعة المصطفى ﷺ للعصاة من أمته بإخراجهم من النار[3]، ومنها قوله ﷺ : « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » [4]. فتشمل كل الذنوب عدا الشرك .

- ومن الأدلة الصريحة حديث عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعاً: « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » [5].

فدل على أنه تحت المشيئة وأنه ليس بخالد في النار .

- وكذلك من الأدلة بشارته ﷺ لمن مات لا يشرك بالله شيئاً أن مصيره الجنة وإن ارتكب بعض الكبائر ، يقول أبو ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة »، قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: « وإن زنى وإن سرق » [6].

- كما أن من الأدلة تفاوت الحدود المترتبة على بعض الكبائر من الجلد إلى قطع اليد إلى القتل إلى الرجم، ولو كانت هذه الذنوب كفراً ما كان جزاء فعلها إلا القتل،كما قال ﷺ : « من بدّل دينه

---

(1) انظر: تفسير البغوي: (١٩١/١)، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز: ص(٤٤٢) .

(2) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه: (١٧/١-١٨) برقم (٤٤).

(3) انظر فيها : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللاكائي (١١٦٠/٦ - ١١٨٣) ، والاعتقاد ، البيهقي (٨٨-٩٧).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعته ﷺ : (٤٣٦/٣) (١٩٩) .

(5) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الإيمان (باب)، (١٢/١-١٣) برقم (١٨) .

(6) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب اللباس، باب الثياب البيض، (١٤٩/٧) برقم (٥٨٢٧) .

فاقتلوه »[1]، فشارب الخمر والزاني والقاذف والسارق لهم عقوبات غير عقوبة المرتد في الإسلام والتي هي القتل، فدل ذلك على أن حكمها غير حكمه وأنها ليست كفراً مخرجاً من الملة[2].

- ومن الأدلة القوية في ذلك أن رسول الله ﷺ لم يكفّر أصحاب الكبائر ولم يعاملهم معاملة الكفار، بل عاملهم معاملة المسلمين وأثنى عليهم وصلى على من مات منهم، وكل ذلك دال على أنهم مسلمون، وبالتالي فليسوا مخلدين في النار، إذ أن النار لا يخلد فيها إلا الكفار والمشركون والمنافقون .

والأدلة غير ما ذكرنا كثيرة وكذلك الآثار عن السلف -رحمهم الله تعالى-[3].

* بل لقد حكى كثير من العلماء الإجماع على ذلك[4].

● وكذلك من أصول أهل السنة والجماعة عدم الشهادة لمعين بجنة أو نار إلا لمن شهد له المصطفى ﷺ، ولكن نرجو للمحسن الثواب ولا نأمن عليه ونخشى على المسيء العقاب ونرجو له رحمة الله تعالى[5].

---

(1) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله: (٤/٦١-٦٢) برقم (٣٠١٧).

(2) انظر: الإيمان، لأبي عبيد: (٣٩-٤٠)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٢٨٧-٢٨٨)، وشرح الطحاوية: (٤٤٣) .

(3) انظر: التوحيد، لابن خزيمة: (٢/٧٦٥-٨٣٦)، والإيمان، لابن منده: (٢/٥٤٤-٥٥٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٦/١١٢٩-١١٥٥)، والاعتقاد، للبيهقي: (٨٦-٨٨)، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة: (٢/٢٩١-٣٠٠) .

(4) حكاه أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أئمة الحديث: ص(٦٤)، وابن بطة في الإبانة الصغرى: ص(٢٩٢)، و الصابوني في عقيدة السلف: ص(٢٧٦)، والبغوي في شرح السنة: (١/١٠٩)، والنووي في شرحه للجامع الصحيح للبخاري: ص(١١٦)، وفي شرحه لصحيح مسلم: (٢/٢٣٢)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٢٢٢، ٢٤١)، وشرح الطحاوية: ص(٤٤٢) .

(5) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، للأحمدي: (١/١٢٨- ١٢٩ ، ٤٠٧)، وشرح السنة ، البربهاري (٧١-٧٢) ، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (الإيمان): ص(٢٩٢)، وأصول السنة، لابن أبي زمنين: (٢٢٢-٢٢٥)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث ، الصابوني (٢٨٦- ٢٨٧) ، وشرح الطحاوية: (٤٤٨-٤٥٦، ٥٣٧-٥٣٨).

ونقل البغوي الإجماع على ذلك. انظر: شرح السنة: (١/٨٠)، وكذا نقله النووي. انظر: شرحه للجامع الصحيح للبخاري: ص(١٧٤) .

* ومع كل هذا الوضوح في المسألة وكثرة أدلتها والإجماع المنعقد فيها إلا أن بعض الناس خالفوا في ذلك وافترقوا إلى فرق وأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون فكانوا ثلاث فرق :

الخوارج: فقد أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية وأدخلوهم في دائرة الكفر وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم وحكموا بخلودهم في النار في الآخرة .

المعتزلة: وقد وافقوا الخوارج في أن مرتكب الكبيرة يزول عنه جميع إيمانه وإسلامه، وأنه خالد مخلد في النار في الآخرة لكنهم خالفوهم في الاسم فلم يسمّوه كافراً فقالوا: ليس بمؤمن ولا مسلم ولا كافر لكنه في مترلة بين المترلتين بين مترلة الإسلام والكفر ويسمى فاسق .

المرجئة: وقد قابلوا الطائفتين السابقتين فقالوا أن إيمان الناس كلهم سواء ومنهم مرتكب الكبيرة، فهو مؤمن كامل الإيمان وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب وحكموا بدخوله الجنة في الآخرة [1].

* وأما أصل الخلاف وسبب نشأته فيعود -والله أعلم- إلى ثلاثة أمور :

الأول: اعتقادهم أن الإيمان شيء واحد لا يمكن أن يتجزأ أو يتبعض وبالتالي إذا زال بعضه زال جميعه، و إذا ثبت بعضه ثبت جميعه، ولم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه، ثم قالت الخوارج والمعتزلة: الطاعات كلها من الإيمان، فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فيذهب سائره فحكموا أن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان، فإذاً ليس بمؤمن فهو إما كافر أو في مترلة بين المترلتين، وأما المرجئة فقالت: قد ثبت بعض الإيمان فيلزم ثبات جميعه لذا قالوا: إنه مؤمن كامل الإيمان لأن الناس في الإيمان سواء فضلاً عن إخراجهم العمل من مسمى الإيمان فمن صدّق بقلبه

---

(1) انظر في أقوال المخالفين: الفصل، لابن حزم: (٣/٢٢٧-٢٥٤، ٢٧٣-٣٠٢)، والملل والنحل، للشهرستاني: (١/٤٠-٩٢).

وفي أقوال الخوارج خاصة: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري: (١/١٦٧)، والتنبيه والرد، للملطي: ص(٦٢)، والفرق بين الفرق ، البغدادي (٧٨-٧٩) ، والملل والنحل ، الشهرستاني (١/٩١-١١٠) ، وانظر أيضاً : الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية ، غالب عواجي (٣٣٥-٣٩٢) . وفي أقوال المعتزلة: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري: (١/٣٣١)، والتنبيه والرد، للمطلي: ص(٥٠)، والفرق بين الفرق، للبغدادي: (١١٣-١١٥، ٣١٠-٣١١)، وشرح الأصول الخمسة، لعبد الجبار الهمذاني: ص(٦٩٧)، والملل والنحل: (١/٤٢) . وفي أقوال المرجئة : الملل والنحل (١/١١١) .

ونطق بلسانه فهو مؤمن وإن ارتكب الكبائر [1].

الثاني: ظنهم أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا، وأنه لا يجتمع فيه إيمان ونفاق وطاعة ومعصية، فإما أن يكون الواحد محموداً أو مذموماً، محبوباً أو مسخوطاً، في الجنة أو في النار، ولا يمكن أن يدخلهما جميعاً، وبناء على ذلك قال قوم من فعل الكبيرة فهو مسخوط مذموم عاصٍ لله تعالى وليس بمؤمن ولا مسلم فهو إما كافر أو في مترلة بين المترلتين وجزاؤه في الآخرة الخلود في النار.

وقابلتهم الطائفة الأخرى فقالوا: هو محمود بأفعاله الصالحة محبوب طائع ولا يمكن أن يكون كافراً فهو مؤمن وجزاء المؤمن الجنة [2].

والجواب : أن الإيمان شعب متفاوتة وأنه يتجزأ ويتبعض ويزول بعضه ويبقى بعضه الآخر، وبالتالي يمكن اجتماع بعض شعب الإيمان مع بعض شعب الكفر أو النفاق في الشخص الواحد فيكون مستحقاً للثواب والعقاب حسب عمله [3].

الثالث: موقفهم من نصوص الوعد والوعيد:

فالخوارج والمعتزلة أخذوا بالنصوص التي فيها ذم بعض الذنوب ووصفها بالكفر أو نفي الإيمان ونحوها ثم عمّموا حكمها ولذا فإنهم يسمون (الوعيدية) لأخذهم بنصوص الوعيد وتركهم غيرها.

وأما المرجئة فقد أخذوا بالنصوص التي فيها وعد المسلمين بالجنة والنجاة من النار، ثم عمّموا حكمها وتركوا غيرها من النصوص.

وكلا القولين باطل ويترتب عليه مفاسد عظيمة وعواقب وخيمة، فأما الوعيدية فقد كفّروا المسلمين وأخرجوهم عن الإسلام واستباحوا دماءهم وأموالهم وحكموا بخلودهم في النار في الآخرة .

وقابلتهم المرجئة ففتحوا باب شر عظيم وهوّنوا للناس ارتكاب المحرمات وفعل الموبقات .

والحق وسط بين طرفين فأهل السنة متفقون على ذم مرتكب الكبيرة وأنه مستحق للوعيد معرّض

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٥١٠) .

(2) انظر: المصدر السابق: (٧/٣٥٣-٣٥٤)، وشرح الأصفهانية: ص(٢٢٦) كلاهما لابن تيمية .

(3) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٥٨، ٥١٠، ٦٣٧)، وشرح الأصفهانية: ص(٢٣٥)كلاهما لابن تيمية ، وشرح الطحاوية: ص(٤٧٨) لابن أبي العز .

نفسه للعذاب جزاء من انتهك من محارم الله وتعدى من حدوده وليس كما قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب.

وكذلك فإنهم لم يكفّروه ولم يخرجوه من الملة ولم يحكموا بخلوده في النار في الآخرة كما قالت الوعيدية[1].

● وكان لأهل السنة والجماعة موقف واضح من نصوص الوعد و الوعيد، فلم يأخذوا هذه النصوص أو تلك على إطلاقها كما فعل أهل الضلال، فإن من أعظم أسباب ضلالهم أخذهم بجانب من الأدلة وتركهم الجانب الآخر، أما أهل السنة فإنهم ينظرون إلى جميع النصوص من الكتاب والسنة في كل مسألة ويضمون بعضها إلى بعض وكأنها دليل واحد فيحملون مطلقها على مقيدها وعامها على خاصها ليحصل الاعتقاد والعمل بجميع ما في مضمونها [2].

وقد ردّوا على المرجئة في دعواهم أنه (لا يضر مع الإيمان ذنب) بما جاء في الكتاب والسنة من ذم الذنوب وأهلها وتوعدهم بالعذاب أو الغضب أو اللعنة، وكذلك بما جاء في هذه الذنوب من حدود، وكذلك بالنصوص التي توجب العمل وتحث عليه وتتوعد تاركه أو المقصر فيه .

أما النصوص التي استدلوا بها فهي نصوص عامة فتخصص بالأدلة الأخرى الموجبة للعمل المحرمة للذنوب والمعاصي .

– وأما الوعيدية فقد ردّ عليهم أهل السنة بأن كل تلك الذنوب الواردة في الأدلة التي استدلوا بها قد وقعت في عهد النبي ﷺ ، ولم يكفّر أصحابها ولم يعاملهم معاملة الكفار بل أقام عليهم الحدود

---

(1) وقد ذكر العلماء هذه الفرق وأقوالها وردّوا عليها وبيّنوا فساد قولها. انظر في ذلك:
الإيمان، للعدني: (١٣٧-١٣٩)، والسنة، لعبدالله بن الإمام أحمد: (٦١٨/٢-٦٤٨)، وتعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (٦٢٤/٢) وما بعدها، والتبصير في معالم الدين، للطبري: (١٧٧-١٨٦)، والتوحيد، لابن خزيمة: (٨٣٦/٢-٨٤٧)، والفصل ، ابن حزم (٧٩/٤-١٠٩) ، والتمهيد، لابن عبدالبر: (٢٤٢/٤-٢٤٣)، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة: (٥١٦/١-٥١٨)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٨٢/٣-١٨٣، ٢١٧/٧-٢١٨، ٢٥٧، ١٨٤/١١-١٨٥، ٤٧٠/١٢-٤٧١، ٣٧/١٣-٣٨)، وشرح الأصفهانية: (٢٢٥-٢٢٦، ٢٣٥)، وشرح الطحاوية: (٤٤٤)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب: (٦٥/١).

(2) انظر: المختار من كنوز السنة، لمحمد عبدالله دراز: ص(٨٢، ١٢٠)، ونواقض الإيمان الاعتقادية، للوهيبي: (١٢٦/١). وقد جعل بعض العلماء أبواباً خاصة لذكر الوعد والوعيد منهم: ابن أبي عاصم في السنة: (٤٥٢/٢-٤٦٠)، وابن أبي زمنين في أصول السنة: (٢٥٦-٢٦٢)، والداني في الرسالة الوافية: (٩٤-٩٦).

فحسب فدل على أنها ليست كفراً [1].

كما أن تلك النصوص عامة وقد جاء ما يخصّصها، كما أن هناك نصوص أخرى تعارض هذه النصوص مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2]، فسماهم مؤمنين، وكذلك وعده ﷺ كما في حديث أبي ذر السابق بدخول المسلم الجنة وإن زنى وإن سرق .

كما أن هذا الوعيد مشروط بعدم التوبة أما مع التوبة فلا .

كما أن هناك فرقاً بين إنفاذ الوعد وإنفاذ الوعيد، فالأول لازم واجب، أما الثاني فعدم إنفاذه ليس عيباً بل كانت العرب تعد ذلك فضيلة [3].

وكل هذه التوجيهات للجمع بين النصوص ورد المتشابه إلى المحكم والعمل بالنصوص كلها، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [4]، فكل فرقة أخذت من النصوص بطرف وتركت النصوص الأخرى، فطائفة أخذت بنصوص الوعد والأخرى أخذت بنصوص الوعيد، وإذا جمعت كل النصوص تبين لك فساد كلا القولين ورددت بأدلة كل فريق على الفريق الآخر .

* ** ** ** ** ** ** *

---

(1) انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (٩/٢٤٣-٢٤٤) .

(2) سورة الحجرات: الآية (٩-١٠) .

(3) انظر: أصول السنة، لابن أبي زمنين: (٢٥٦-٢٦٢)، والرسالة الوافية، للداني: (٩٤-٩٦)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٢/٤٨٢-٤٨٤) .

(4) سورة آل عمران: الآية (٧) .

الموضوع الثاني: القضاء والقدر:

مقدمة :

تعتبر مسائل القضاء والقدر من أهم مسائل العقيدة وأعظمها، إذ هي مرتبطة بها من عدة جهات ؛ وذلك أن الإيمان بالقدر مرتبط بتوحيد الربوبية فهو إيمان بقدرة الله تعالى، وأنه على كل شيء قدير، وهو كذلك مرتبط بتوحيد الأسماء والصفات إذ هو إيمان بأن الله هو العليم بكل شيء، الحكيم في كل ما قدّر، القدير الخبير الخالق. وهو كذلك مرتبط بالإيمان إذ هو أحد أركانه ودعائمه الستة .

وجانب آخر مهم في القدر ألا وهو ملامسته الشديدة لحياة الناس وحاجتهم اليومية له ؛ فالإنسان إنما يتقلب بين أقدار الله تعالى ويفر من قدر إلى قدر ويدفع قدراً بقدر .

ومما يبين أهميته كذلك أن بعض مسائله كانت مزلة أقدام لبعض المسلمين وانبنى على ذلك أفكار وعقائد وأحكام كثيرة كل ذلك لأنهم لم يفهموا دقائقه ولم يوفّقوا بين نصوصه .

أولاً : أهميته :

إن الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي جاءت النصوص الشرعية بتقريرها، ولا يتم إيمان عبد حتى يؤمن به.

وهو داخل ضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فإنه لا يؤمن بأن الله رب كل شيء إلا من آمن بأنه سبحانه قادر على تلك الأشياء.

كما أن الإيمان بالقضاء والقدر إيمان بعلم الله الأزلي وبحكمته وقدرته.

وللإيمان به تأثير في النفوس وطمأنينة في القلوب، إذ من علم أن كل شيء بقضاء الله وقدره وأنه مأجور على ما يصيبه صبر واحتسب وهان عليه الأمر، ولا شك أن الإنسان معرض دائماً للابتلاءات والمصائب والأكدار فعندما يتذكر ذلك تهون عليه المصائب، وتصغر عنده الأحداث[1]

---

(1) لبيان أهمية الإيمان بالقدر انظر مثلاً: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي: (١/١٣٨-١٤٠، ١٦٢-١٦٦)، والشريعة، للآجري: (٢/٧٩١-٨٠٠)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن

ثانياً : معنى الإيمان بالقضاء والقدر :

عرف العلماء -رحمهم الله- القدر تعريفات كثيرة -وإن كانت معانيها واحدة- ومجموع كلامه يمثل مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر، ونذكر هنا بعض مقولاتهم -رحمهم الله-[1] :

يقول أحمد بن حنبل رحمه الله لما سئل عن القدر : ''القدر قدرة الله على العباد'' [2].

ويقول ابن فارس رحمه الله : ''القدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها الله'' [3].

ويقول الكرماني رحمه الله : ''ومذهب أهل الحق أن الأمور كلها من الإيمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وغير ذلك بقضاء الله وقدره ولا يجري في ملكه إلا مقدراته'' [4].

ويقول النووي رحمه الله : ''واعلم أ ن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدر وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ﷻ ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدّرها ﷻ '' [5].

ويقول ابن تيمية رحمه الله في معنى الإيمان بالقضاء والقدر: ''الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً وعَلِمَ جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ... والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه ... والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم

بطة (كتاب القدر): (٢/٤٩-٦٠)، وشرح السنة، للبغوي (باب الإيمان بالقدر): (١/١٢٨-١٤٢) .

(١) انظر مثلاً في مسائل القضاء والقدر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، الأحمدي: (١/١٣٤-١٨٥) ،والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ابن بطة العكبري (كتاب القدر)، وأصول السنة، لابن أبي زمنين: ص(١٩٧-٢٠٦)، والقضاء والقدر، البيهقي ، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم .

(٢) مسائل الإمام أحمد بن حنبل، رواية إسحاق بن إبراهيم ابن هانئ: (٢/١٥٥) برقم (١٨٦٨) .

(٣) معجم مقاييس اللغة: (٥/٦٢) .

(٤) الكواكب الدراري: (٢٣/٧٢) .

(٥) شرح صحيح مسلم: (١/١٢٨) .

... وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال الله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]" [2].

وكلام السلف في هذا الباب كثير معلوم [3].

وخلاصة معنى الإيمان بالقضاء والقدر :

أن الله تبارك وتعالى قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وأنه علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة وأن هذه المقادير تقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة وأنه سبحانه كتب ذلك في اللوح المحفوظ وأنها تقع متى شاء الله تعالى وأراد، وذلك حسب ما قدّره وأراده وأنه سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يقع في ملكه شيء إلا بإذنه ولا يخرج شيء عن قضائه وقدره وأنه خالق العباد وأفعالهم مع أنه جعل لهم قدرة ومشيئة واختياراً يفعلون بها ويختارون ما يشاؤون، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا رادّ لحكمه ولا معقّب لقضائه، وأن كل خير وشر فهو بقضائه وقدره، وأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.

ثالثاً : مراتب القدر :

لقد بيّن علماء السلف -رحمهم الله- أن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربعة مراتب هي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق .

ويراد بالعلم: الإيمان بعلم الله تعالى القديم الموصوف به أزلاً وأبداً وأنه سبحانه العليم بكل شيء المحيط بكل شيء وأنه علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل خلقهم وعلم أعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومآلهم .

والأدلة على ذلك كثيرة منها :

قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا

---

(1) سورة التكوير: (٢٨-٢٩) .

(2) العقيدة الواسطية: ص(٢١-٢٣) باختصار، تعليق: محمد بن عبدالعزيز بن مانع .

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي: ص(٣٥٣)؛ ولمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، موفق الدين ابن قدامة المقدسي: ص(٢٥-٢٦).

يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [1].

وقوله ﷺ فيما يرويه عنه علي ﷺ : « ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار » قالوا: يا رسول الله فلِمَ نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: « لا، اعملوا فكلٌّ ميسّر لما خُلق لـه، ثم قـرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ إلى قوله :﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[2] » [3].

ويراد بالكتابة: الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق إلى يوم القيامة وأنـه لا يقع في هذا الكون إلا ما كتبه الله تعالى وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكـن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف، ومن الأدلة على ذلك :

قوله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [4].

وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنـة » قال: « وعرشه على الماء » [5].

وأما المراد بالمشيئة: فالإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وأن ما شاء الله كان ومـا لم يـشأ لم يكن، وأنه سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأنه لا يقع شيء في ملكه إلا بمشيئته وإرادته. ومن الأدلة على ذلك :

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1].

---

(1) سورة الأنعام: (٥٩) .

(2) سورة الليل: (٥-١٠) .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه: (١٦/١٥٠) حديث رقم (٢٦٤٧) .
وانظر في مسألة العلم: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي: (١/١٤٢-١٤٧) .

(4) سورة الحج: (٧٠) .

(5) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهمـا وسـلم: (١٦/١٥٤-١٥٥) حديث رقم (٢٦٥٣) .
وانظر في مسألة الكتابة: الشريعة، للآجري: (٢/٧٦٢-٧٧٠)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (كتـاب القدر): (١/٣٣٣-٣٤١) .

وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرّفه كيف يشاء »، ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك » [٢].

وأما المراد بالخلق: فالإيمان بأن الله سبحانه خالق كل شيء وأنه لا يقع في الكون شيء إلا وهو خالقه ومن ذلك أفعال العباد. ومن أدلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣].

وحديث زيد بن أرقم ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ... » [٤].

قال النووي رحمه الله : "ومعنى زكّها: طهّرها، ولفظة (خير) ليست للتفضيل بل معناه لا مزكّي لها إلا أنت" [٥]. فالفاعل هو الله تعالى ولا يُطلب ذلك إلا منه سبحانه .

وكلام العلماء رحمهم الله تعالى في مراتب القدر وأدلتها كثير يطول ذكره[٦].

---

(١) سورة آل عمران: (٢٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيح في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء: (١٥٥/١٦) حديث رقم (٢٦٥٤) . وانظر: الأسماء والصفات، للبيهقي: (٣٤٩/١-٤٥٤) .

(٣) سورة الصافات: (٩٦) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الأدعية: (٢٠٣/١٧-٢٠٤) برقم (٢٧٢٢).

(٥) شرح صحيح مسلم: (٢٠٤/١٧) .

(٦) انظر في ذلك: الشريعة، للآجري: (٧٤١/٢-٧٦١، ٧٧٧/٢-٧٩٠)؛ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (القدر): (٢٩٥/١-٣٠٨)؛ الرسالة الوافية ، لأبي عمرو الداني: ص(٦٣-٦٩)؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٦٤٥/٤-٦٨٩)؛ شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل الهراس: ص(٢٢٠-٢٢٦)؛ ومجموع الفتاوى: (٤٤٨/٨-٤٥٢)؛ وشفاء العليل، ابن القيم: ص(٢٩-٦٥)؛ وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي: ص(٣٤٤-٣٥٥)؛ وجامع العلوم والحكم، ابن رجب: (٥٦/١-٥٧)؛ ومعارج القبول ، حافظ الحكمي: (١٠٨٦/٣-١١٠٩) ورسالة القضاء والقدر، عبدالرحمن المحمود: ص(٥٥-٨٣).

رابعاً: أفعال العباد :

فإن علماء السلف -رحمهم الله- قرروا أن الله تعالى خالق كل شيء، ويدخل في ذلك أفعال العباد، وقالوا أيضاً: إن الله تعالى جعل للعباد قدرة على أعمالهم وإرادة بها يفعلون ويتركون، ومما استدلوا على ذلك قوله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، فأثبت له سبحانه مشيئة كما أثبت للخلق مشيئة.

وبقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[2]، فأثبت لنفسه سبحانه الفعل كما أثبت الفعل لعباده[3].

يقول ابن تيمية رحمه الله : "والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال الله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[4]"[5].

يقول عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله معلِّقاً على هذا الكلام: "وتوضيح ذلك أن العبد إذا صلى وصام وعمل الخير أو عمل شيئاً من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح وذلك العمل السيئ وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره وهو يحسّ ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك وأنه لو شاء لم يفعل وكما أن هذا هو الواقع فهو الذي نصّ عليه في كتابه ونصّ عليه رسوله حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد وأخبر أنهم الفاعلون لها وأنهم ممدوحون عليها إن كانت صالحة ومثابون عليها ومذمومون إن كانت سيئة ومعاقبون عليها. فقد تبين بلا

---

(1) سورة التكوير: (٢٨-٢٩) .

(2) سورة الصافات: (٩٦) .

(3) في مسألة أفعال العباد انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي: (١/١٤٧-١٥٧) ، والسنة، للخلال: (٣/٥٤٠-٥٤٩) ، والاعتقاد، للبيهقي: ص(٥٩-٦٠) ، والحجة في بيان المحجة، لقوام السنة الأصبهاني: (١/٤٥٧-٤٥٨، ٢/٦٢-٧٠) .

(4) سورة التكوير: (٢٨-٢٩) .

(5) العقيدة الواسطية: ص(٢٣)، بتعليق: محمد بن عبدالعزيز بن مانع .

ريب واتّضح أنها واقعة منهم وباختيارهم وأنهم إن شاؤوا فعلوا وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا ثابت عقلاً وحساً وشرعاً ومشاهدة .

ومع ذلك فإذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدر وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: فهي بقدرهم وإرادهم. وهذا يعترف به كل أحد ، ويقال أيضاً: ومن خلق قدرهم ومشيئتهم وإرادهم؟.

فالجواب الذي يعترف به كل أحد: أن الله هو الذي خلق قدرهم وإرادهم . والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال. فهذا هو الذي يحل الإشكال ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار"[1].

ومع أن للعباد مشيئة وإرادة فإن مشيتهم وإرادهم لا تخرج عما يشاؤه الله تعالى ويريده، كما قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2][3].

ولقد كانت هذه المسألة مزلة أقدام لكثير من فرق المسلمين حادت عن الطريق وخالفت الدليل وتخبطت واضطربت فكانت إما غالية أو جافية. وأصل الخلاف عدم تفريقهم بين نوعي الإرادة أو بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، فذلك الذي أوقعهم في الزلل .

فطائفة منهم قالت: كل ما أراده الله فقد أحبه، ولأن قدر الله نافذ فكل ما يقع فقد أحبه الله، سواء كان طاعات أو معاصي، والعبد مجبور على فعله لا حول له ولا قوة كالريشة في مهب الريح وأن الأفعال إنما تُسند إليه مجازاً.

فهم اتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا يطيقونه ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، وهؤلاء هم طائفة الجبرية.

---

(1) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث اللطيفة: ص(٩٩-١٠٠). وانظر: شرح محمد خليل هراس للواسطية: ص(٢٢٧-٢٢٩)؛ وشفاء العليل: ص(١٠٩-١٢٠)؛ ومعارج القبول: (٣/١١٠٩-١١١١).

(2) سورة التكوير: الآية (٢٨-٢٩) .

(3) وانظر في ذلك: الشريعة، للآجري: (٢/٧١٨-٧٣٨)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (كتاب القدر): (١/٢٧٣-٢٩٤) .

والطائفة الأخرى قالوا: كل ما أراده الله فقد أحبه، ولأنه أخبر أنه لا يحب المعاصي والفساد والكفر فهو إذن لم يقدّرها، فأثبتوا قدرة العبد ومشيئته ونفوا قدرة الرب سبحانه ومشيئته، فشابهوا المجوس بجعلهم خالقين في الكون الله ﷻ والإنسان، وهؤلاء هم طائفة القدرية.

والحق وسط بين طرفين وفضيلة بين رذيلتين، فأهل السنة لما فرّقوا بين نوعي الإرادة لم يكن عندهم إشكال في هذه المسألة فمن الأشياء ما يريدها الله كوناً ولا يريدها شرعاً، وذلك مثل المعاصي ومنها ما يريدها شرعاً وكوناً، وذلك مثل الطاعات فأثبتوا للعبد مشيئة وقدرة حقيقية لكنها لا تخرج أبداً عن مشيئة الله وقدرته، فهم جمعوا بين النصوص فلم يتخبطوا ولم يتناقضوا .

والإرادة تنقسم إلى قسمين: كونية وشرعيـــــة .

فالأولى يُقصد بها كل ما يقع في الكون سواء أحبه الله تعالى أم أبغضه، ومثالها قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[1].

ويُقصد بالثانية ما يحبه الله شرعاً سواء وقع أو لم يقع، ومثالهـــا قولـــه تعـــالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾[2].

فالأولى لا تستلزم المحبة، والثانية لا تستلزم الوقوع. يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : "والمحققـــون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمريـــة شرعية. فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المـــشيئة الـــشاملة لجميـــع الحوادث، وهذا كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[3] ... وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية فكقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[4]..."[5].

---

(1) سورة البقرة: (٢٥٣) .

(2) سورة المائدة: (٦) .

(3) سورة الأنعام: (١٢٥) .

(4) سورة البقرة: (١٨٥) .

(5) شرح العقيدة الطحاوية: ص(٧٩-٨٠). وانظر: شرح الواسطية، محمد خليل هراس: ص(٢٢٦)؛ وشـــفاء العليـــل: ص(٢٨٠-٢٨٣) .

ونتيجة لعدم التفريق بين نوعي الإرادة هذين ضلت فرق من المسلمين وجانبت الصواب، فكانت بين إفراط وتفريط، فالجبرية غلوا في إثبات القدر فنفوا فعل العبد وقدرته وجعلوه كالريشة في مهب الريح، وقابلتهم القدرية فنفت مشيئة الله تعالى وخلقه وغلت في إثبات فعل العبد وقدرته .

خامساً : المخالفون في مسائل القضاء والقدر :

تقدم فيما سبق تقرير عقيدة السلف أهل السنة والجماعة في أبواب القدر ومسائله وهو الذي يتوافق مع نصوص الكتاب والسنة .

لكن أبواب القدر لم تخلُ من مخالفين في بعض مسائلها اشتبهت عليهم النصوص واضطربت عليهم المسائل فخالفوا في ذلك .

والمخالفون في مسائل القدر على ضربين: قدرية وجبرية .

فأما القدرية فهم طائفتان:

-القدرية الأولى (الغلاة) والتي كانت نشأتها[1] على يد رجل من أهل العراق يقال له: (سيسويه)[2] وأخذ عنه معبد الجهني[3] ثم غيلان الدمشقي[1].

---

(1) وقد وردت أقوال أخرى في نشأتها انظر: القضاء والقدر، لعبدالرحمن المحمود: ص(١٦٢-١٦٨) .

(2) (ويقال له سنسويه ويقال سوسن وهو رجل نصراني أسلم ثم تنصر من أهل العراق وهو أو من نطق بنفي القدر وقال به في البصرة فأخذه عنه معبد الجهني) . انظر : الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ،ابن بطة [القدر] (٢/٢٩٩ ، ٣١٩) ، وتهذيب الكمال (٢٨/٢٤٥-٢٤٦) ، وسير أعلام النبلاء (٤/١٨٦-١٨٧) ، والبداية والنهاية (٩/٣٤) .

(3) (معبد بن عبد الله بن عويمر بن عكيم الجهني نزيل البصرة وأول من تكلم بنفي القدر في زمن الصحابة أخذه عن رجل نصراني أسلم ثم تنصر اسمه (سوسن) ككان بلاءاً على الإسلام وإن كان قبل ذلك ممن سمع الحديث ورواه فقد حدث عن عمران بن حصين ومعاوية وابن عباس وابن عمر وطائفة من أصحاب رسول الله ﷺ وروى عنه معاوية بن قرة وقتادة ومالك بن دينار وسعد بن إبراهيم وآخرون لكنه لما خالط ذاك النصراني تأثر به ثم خرج ببدعته التي ينفي فيها القدر مات قبل سنة (٩٠ هـ)). انظر : التاريخ الكبير (٧/٣٩٩-٤٠٠) ، والجرح والتعديل (٨/٢٨٠) ، وتاريخ دمشق (٥٩/٣١٢-٣٢٦)، وتهذيب الكمال (٢٨/٢٤٤-٢٤٩) ، وسير أعلام النبلاء (٤/١٨٥-١٨٧) ، والبداية والنهاية (٩/٣٤) .

وهؤلاء ينكرون القدر بجميع مراتبه وهم القائلون (لا قدر والأمر أُنُف)، وهم الذين تبرأ منهم ابن عمر في القصة التي في صحيح مسلم[٢]. ويعنون بذلك نفي القدر وأن الأمر مستأنف يُعلم بعد حدوثه.

وهذه الطائفة هم أول من قال بنفي القدر، وكانوا قليلي العدد ولم ينتشر قولهم وقد اندثر قولهم ، حيث وقف الصحابة – رضوان الله عليهم – منهم موقفاً شديداً وصل إلى حد البراءة منهم بل لقد كفرهم الأئمة.

–وأما الطائفة الثانية فهم القدرية المجوسية، وقد ظهرت بعد الطائفة الأولى وهم القائلون بنفي مرتبتي المشيئة والخلق –مع إثبات مرتبتي العلم والكتابة– وقالوا أن العبد يخلق فعل نفسه وأنه يستقل بذلك ونفوا مشيئة الله تعالى لذلك وخلقه له.

وسُمّوا بالقدرية المجوسية لمشابهتهم للمجوس القائلين بإلهين اثنين فهم جعلوا العبد خالقاً مع الله تعالى .

وقد تولى كبر هذه المقولة المعتزلة وجعلوا هذه المسألة أصلاً من أصولهم الخمسة التي أصّلوها فجعلوها الأصل الثاني من أصولهم الخمسة وهو العدل[٣].

---

(١) (أبو مروان غيلان بن أبي غيلان – واسمه مسلم – الدمشقي كان من بلغاء الكتّاب وكان من أصحاب الحسن البصري في الفقه وحدّث عنه يعقوب بن عتبة . له فرقة تنسب إليه يقال لهم الغيلانية كان قدرياً وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه لم يسبقه سوى معبد الجهني كان ضالاً داعية وكان غير ثقة ولا مأمون وكان الأئمة ينهون عن مجالسته وكان الأوزاعي هو الذي ناظره وأفتى بقتله فأخذه هشام بن عبد الملك فصلبه على باب كيسان بدمشق وكانت خلافة هشام سنة (١٠٥هـ) فيكون مقتله بعدها) . انظر : الفهرست (١٤٩) ، والملل والنحل (٢٣/١) ، وميزان الإعتدال ، للذهبي (٣٣٨/٣) ، ولسان الميزان ، لابن حجر (٤٢٤/٤) ، ومفتاح دار السعادة ، لطاش كبري زاده (١٦٥/٢) ، والأعلام (١٢٤/٥) .

(٢) وهو أول حديث افتتح به الصحيح. انظر: كتاب الإيمان: (١٢٦/١-١٣١) .

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري: (٢٩٨/١-٢٩٩)؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي: (٢٣٤/٣-٢٣٥)؛ شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار بن أحمد: ص(١٢٢-١٢٥)، وتكلم عن العدل (الأصل الثاني): ص(٣٠١) إلى ص(٦٠٨)؛ المغني في أبواب التوحيد والعدل ، لنفس المؤلف ، الفرق بين الفرق؛ لعبدالقاهر البغدادي: ص(٢٩٧-٢٩٨)؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: (٣٣/٣-١٣٦)؛ الملل والنحل، للشهرستاني: (٣٩/١-٤٠) .

وقد تكلم العلماء عن نشأة القدرية وأقوالهم وسوء مذهبهم والرد عليهم في مواطن كثيرة من كتبهم، وذلك بيّن ظاهر لكل من طالع كتب السلف وأقوالهم[1].

وأما الجبرية فلقد كانت نشأتها على يد الجهم بن صفوان الذي أخذ القول بالجبر من أستاذه الجعد بن درهم، ولكن هذا القول إنما اشتهر على يد الجهم فنُسب إليه.

وهؤلاء هم الذين غلوا في إثبات القدر حتى قالوا: إن الإنسان مجبور على فعله وأنه لا يعمل العمل باختياره وإرادته، وهم على قسمين:

-القسم الأول: جبرية خالصة: وهم الجهمية القائلون كما يقول الجهم بن صفوان : "إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأنه هو الفاعل وأن الناس إنما تُنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً بذلك كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولوناً كان به متلوناً" [2].

---

(1) انظر في نشأة القدرية: السنة، للخلال: (٣/٥٢٦-٥٢٨)؛ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (القدر): (٢/٢٩٧-٣٠٥)؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٤/٨٢٣-٨٢٧)؛ الفرق بين الفرق؛ لعبدالقاهر البغدادي: ص(٢٥-٢٧)؛ الملل والنحل، للشهرستاني: (١/٣٠)؛ مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٧/٣٨٤-٣٨٥) (٨/٤٥٠).

وانظر في أقوال القدرية وسوء مذهبهم وذم الأئمة لهم ما يلي:

المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي: (١/١٤٧-١٥٠)؛ السنة، لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/٣٨٤، ٢/٣٨٥-٤٤٣)؛ السنة، للخلال: (٣/٥٢٩-٥٣٣، ٥٥٧-٥٦٢)؛ الشريعة، للآجري: (٢/٦٩٦-٧٠٢، ٨٠١-٨١٤، ٨٣٧-٩٣٤، ٩٥٨-٩٦٠)؛ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة (القدر): (٢/٩٥-١٢٣، ٢٦٩-٣٩٥)؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٤/٦٤٥-٦٥١، ٧٠١-٧١٥، ٧٦٨-٨٢٢)؛ شرح صحيح مسلم، للنووي: (١/١٢٨-١٣٠)؛ شرح السنة، للبغوي (باب وعيد القدرية): (١/١٤٥-١٤٧).

وقد ذكر بعض الأئمة أدلتهم وشبهاتهم وردّ عليها ومن ذلك ما يلي:

الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة الأصبهاني: (٢/٣٤-٤٢، ٦٢-٧٠)؛ ومجموع الفتاوى (٣/٣٥٢) (٧/٣٨٦، ٥٠٧) (١٢/٤٨٦) ، شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي: ص(٣٥٣-٣٥٥، ٦٣٩-٦٥٢ ، ٧٩٧) .

(2) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري: (١/٣٣٨) .

فالله ﷻ خلق للإنسان هذه القوة التي كان بها الفعل، كما خلق له إرادة واختياراً كان بها الفعل، فكل من الفعل والمفعول مخلوق لله تعالى.

-القسم الثاني: هم الجبرية المتوسطة: وهم القائلون أن للعبد قدرة لكنها غير مؤثرة في الفعل، وسمّوا هذه القدرة (كسباً)، وهذا هو قول الأشاعرة، يقول الكرماني رحمه الله في تعريف الكسب: "المذهب الحق أن لا جبر ولا قدر، ولكن أمر بين الأمرين، أي بخلق الله وكسب العبد وهو قول الأشعرية، فإن قلت: لا يخلو أن تكون أفعال العبد بقدرته أم لا؛ إذ لا واسطة بين النفي والإثبات، فإن كانت بقدرته فهو القدر الذي هو مذهب المعتزلة وإن لم يكن بها فهو الجبر المحض الذي هو مذهب الجهمية، قلت: للعبد قدرة فلا جبر وبها يفرق بين النازل من المنارة والساقط منها، ولكن لا تأثير لها بل الفعل واقع بقدرة الله تعالى وتأثير قدرته فيه بعد تأثير قدرة العبد عليه وهذا هو المسمى بالكسب"[1].

وحقيقة كلام الأشاعرة في القدر يؤول إلى الجبر؛ إذ لا معنى لقدرة لا تأثير لها في الفعل[2]. ومنشأ الخلاف من عدم تفريق الطائفتين بين نوعي الإرادة فلو أدركوا ذلك لما وقعوا في الاضطراب والتخبط.

سادساً : علاقة القدر بالإسباب :

خلق الله سبحانه الكون وفق نظام معين وتقدير محكم يقول سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

---

(1) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: (٢١٣/٢٥)، وانظر: الملل والنحل، للشهرستاني: (٦٧/١-٦٨).

(2) انظر في مقالات الجبرية وذم الأئمة لهم ولوازم قولهم ما يلي:

المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي: (١٥٧/١-١٦١)؛ السنة، للخلال: (٥٤٩/٣-٥٥٧)؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٧٧٥/٤)؛ الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي: ص(٢٩٧-٢٩٨)؛ مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٣٨٦/٨-٤٠٥)؛ شفاء العليل، لابن القيم: ص(١٢٠-١٣٤).

وانظر في الخلاف في مسألة أفعال العباد : الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: (٣٣/٣-١٣٦)؛ الملل والنحل، للشهرستاني: (٨٥/١-٨٦)؛ مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١١٨/٨-١٢٠، ٤٣٧-٥١٥)؛ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي: ص(٦٣٩-٦٥٢). وقد ذكر قوام السنة الأصبهاني في كتابه (الحجة في بيان المحجة) بعض أدلتهم وشبهاتهم وردّ عليها. انظر: (٧٥/٢-٨٠).

[1]، وجعل في الكون سنناً ثابتة وقوانين محددة ثم ربط بها مصالح العباد فجعل أسباباً تؤدي إلى المسببات ومقدمات توصل إلى النتائج، وذلك حتى تنتظم مصالح العباد وتستقر حياتهم، فجعل للرزق أسباباً وللشفاء أسباباً، بل وجعل للشقاء والسعادة أسباباً موصلة إليها. نعم لا يلزم من وجود هذه الأسباب وجود مسبباتها لكن هذا هو الحكم الغالب فيها .

يقول ابن رجب رحمه الله : "والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدّر غيره"[2].

ويقول ابن تيمية رحمه الله : " فجميع الأسباب قد تقدم علم الله بها وكتابته لها وتقديره إياها وقضاؤه بها كما تقدم ربط ذلك بالمسببات، كذلك أيضاً الأسباب التي بها خلق النبات من إنزال المطر وغيره من هذا الباب كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ [3] ... وكذلك الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب " [4].

وذكر رحمه الله أن اتخاذ الأسباب في طلب الرزق هو من عمل الأنبياء عليهم السلام فقال: "عامة الأنبياء كانوا يفعلون أسباباً يحصل بها الرزق كما قال نبينا ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجُعل رزقي تحت ظل رمحي وجُعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » [5]. وقد ثبت في الصحيح قوله ﷺ : « إن أفضل ما أكل الرجل من كسبه وكان داود يأكل من كسبه » [6]. وكان يصنع الدروع وكان زكريا نجاراً وكان الخليل له ماشية كثيرة ..." [7].

---

(1) سورة القمر: (٤٩) .

(2) سورة البقرة: (١٦٤) .

(3) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: ص(١٢١).

(4) مجموع الفتاوى: (٨/٢٧٧-٢٧٨) .

(5) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : (٢/١٢٦) برقم (٥٦٦٩).

(6) أخرجه البخاري في جامعه الصحيح ، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده: (٣/٥٧) برقم (٢٠٧٢) ولفظه: « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » .

(7) مجموع الفتاوى: (٨/٥٣٧). وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبدالإله الأحمدي:

واتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل على الله تعالى والرضا بأقداره، فإن "القدر لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد" [1].

* فالواجب الالتجاء إلى الله تعالى والانطراح بين يديه والاعتماد عليه، فهو خالق الأسباب ومسبباتها، وهو مالك كل شيء وخالق كل شيء سبحانه .

والواجب على الإنسان كذلك مع اتخاذه للأسباب وسعيه لتحصيلها ألاّ يعتمد عليها أو يركن إليها بل يعتمد بكل قلبه على موجدها وخالقها سبحانه، فهو الذي جعلها أسباباً وهو القادر على أن يمحو أثرها، يقول ابن رجب رحمه الله : "وأكثر الناس يركن بقلبه إلى الأسباب وينسى المسبِّب لها، وقلّ من فعل ذلك إلا وُكل إليها وخُذل، فإن جميع النعم من الله وفضله، كما قال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[3]... ولا تُضاف النعم إلى الأسباب بل إلى مسبِّبها ومقدّرها ... " [4].

ويقول ابن تيمية رحمه لله : "فالإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع" [5].

فعلى المرء بذل الأسباب والاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه في تحصيل المراد، يقول ابن القيم رحمه الله: "وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأصلين ... اتخاذ الأسباب والتوكل على الله تعالى في الحديث الصحيح حيث يقول: « إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » [6]. فأمره بالحرص على الأسباب والاستعانة بالمسبِّب ونهاه عن العجز وهو نوعان: تقصير في الأسباب وعدم الحرص عليها،وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها، فالدين كله -ظاهره وباطنه شرائعه وحقائقه- تحت

(٢/٢٣٣-٢٤٥)

(١) شفاء العليل: ص(٢٥) .

(٢) سورة النساء: (٧٩) .

(٣) سورة النحل: (٥٣) .

(٤) لطائف المعارف: ص(١٢٣) .

(٥) مجموع الفتاوى: (٨/٥٢٨) .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب: الإيمان للقدر والإذعان له: (١٦/١٦٤) برقم (٢٦٦٤) .

هذه الكلمات النبوية" [1].

سابعاً : حكم الإحتجاج بالقدر على فعل المعاصي :

يعمد بعض الجهلة إلى المعاصي فيعبَّ منها عبًّا غير مبال بأمر ولا نهي، فإذا أنكر عليه أحد من الناس احتج بالقدر وزعم أن الله تعالى قد قدّر عليه ذلك وكتبه عليه.

وهذه الحجة ليست جديدة فقد حكاها ربنا جل وعلا عن المشركين فقال عز من قائل: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ [3]،وقال جل وعلا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ﴾ [4]. بل هي حجة احتجّ بها إبليس يوم قال: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [5]. فهم ليسوا بدعاً من الناس في ذلك فقد سبقهم مَن احتجوا بالقدر على كل فاحشة يعملونها كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [6].

واحتجوا كذلك بما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده أتلومني على أمر قدّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين ألف سنة!؟ فحجَّ آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا » [7][8].

---

(1) تهذيب مدارج السالكين: (١٠١٨/٢) .

(2) سورة الأنعام: (١٤٨) .

(3) سورة النحل: (٣٥) .

(4) سورة الزخرف: (٢٠) .

(5) سورة الحجر: (٣٩) .

(6) سورة الأعراف: (٢٨) .

(7) أخرجه البخاري في جامعه الصحيح في كتاب القدر، في باب تحاج آدم وموسى عند الله: (١٢٦/٨) برقم (٦٦١٤).

(8) انظر في مسألة الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وقصة تحاج آدم وموسى عليهما السلام ما يأتي:
الشريعة، للآجري: (٧٧١/٢-٧٧٦) ، ومعالم السنن، للخطابي: (٢٩٦/٤-٢٩٨) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (٦٤١/٤-٦٤٥) برقم (١٠٣٢-١٠٣٦)الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة الأصبهاني:

والقائلون بهذا القول هم الجبرية القائلين بأن العبد ليس له مشيئة ولا اختيار وأنه مجبور على فعله أو أنهم أناس جهلة لُبِّس عليهم أو أنهم أصحاب أهواء وشهوات يريدون تلبية شهواتهم ونزواتهم مع علمهم ببطلان قولهم .

● الجواب عن هذه الدعوى :

* أما أدلتهم التي استدلوا بها فإنها لا تدل على دعواهم التي ادّعوها بل إنها تردّ عليهم فإن الله سبحانه إنما حكاها عن المشركين وإنما ذكرها ذاماً لهم فيها وهم إنما استدلوا من كل آية بجزء وفصلوها عن تكملتها التي ترد عليهم وهي كما يلي:

– قوله تعالى في آية الأنعام: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [1].

فالله سبحانه إنما حكاها عن المشركين وأي كرامة في الاقتداء بالمشركين؟! ثم وصفهم بالتكذيب ثم تحداهم أن يكون لهم علم بأن الله قد قدّر عليهم هذا قبل أن يفعلوه ثم وصفهم بالقول بالظن والخرص ثم بيّن سبحانه أن له الحجة البالغة عليهم.

–أما آية النحل فيقول الله تعالى فيها: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [2]. فهي سنة في المشركين أن يحتجوا بالقدر على كفرهم وعصيانهم ولكن جزاءهم عند ربهم يوم يقدمون عليه وإنما على الرسل البلاغ المبين .

– أما آية الزخرف فيقول ربنا تبارك وتعالى فيها: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [3].

– وأما آية الحجر فيقول تبارك وتعالى فيها عن إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

(٢/٦٨–٧٠) ، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٨/٢٦٢–٢٩٦) .

(١) سورة الأنعام: (١٤٨–١٤٩) .

(٢) سورة النحل: (٣٥) .

(٣) سورة الزخرف: (٢٠) .

وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [1]. فنقول أولاً بئس من كان إبليس قدوته ، ثم إن الله سبحانه بيّن أن إبليس ليس له سلطان إلا على الغاوين الذين اتبعوه وهنا نسب الفعل إليهم هم ثم توعد الجميع بالنار نسأل الله الحماية .

- وأما آية الأعراف فيقول تبارك وتعالى فيها: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ [2].

فهنا ردّ الله تعالى دعواهم وبيّن افتراءهم عليه ثم بيّن ما يأمر به سبحانه وهو القسط والعدل [3].

* كما أن هذا القول المزعوم لو صح لترتب عليه مفاسد كثيرة ولوازم باطلة فهو مع كونه مشابهة للكفار واقتداء بهم وصاحبه متقوّل على الله تعالى مفترٍ عليه، فإنه يلزم عليه ألا يُذَمّ كافر ولا عاصٍ ولا يُعاقب أحد وأن تُعَطّل الحدود وألاّ يُفَرّق بين من فعل الخيرات ومن فعل المنكرات والموبقات؛ لأن الجميع إنما عصو الله بقدر الله؟!.

* ويلزم عليه ألا يُعذِّب الله المكذبين للرسل ولا العصاة والمجرمين وأن يكون لإبليس وفرعون وهامان وكل أعداء الله الحجة على الله لأنهم لم يعملوا إلا ما قدّره عليهم؟!

* ويلزم منه إبطال الشرائع والأوامر والنواهي إذ كلّ تارك لواجب يقول: لم يقدّر الله لي أن أفعل هذا الواجب وكلّ مرتكب لمنكر أو فاحشة يقول: قد كتبها الله عليّ، فيؤدي هذا لإبطال الدين كله .

*ويلزم عليه الطعن في حكمة الله تعالى وعدله فهو قدّر على الخلق أن يعصوه وأجبرهم على ذلك ثم هو يعاقبهم على ذلك فهذا ظلم لهم، ثم لماذا يخلق الجنة والنار ما دام أن الخلق لم يفعلوا إلا ما قدّره عليهم؟!

* ثم إن في هذا الأمر إتباع للهوى إذ أصحابه يحتجّون به حال ظلمهم وتعديهم أما في حال ظلم غيرهم لهم فإنهم لا يقبلون ذلك منهم ولو احتجّوا عليهم بالقدر بل تراهم ينتقمون لأنفسهم .

---

(1) سورة الحجر: (٣٩-٤٣) .

(2) سورة الأعراف: (٢٨-٢٩) .

(3) الإجابة عن حديث محاجة آدم وموسى عليهما السلام. ستأتي بعد قليل؛ لأنها تحتاج لتفصيل وإيضاح.

* ومع ذلك كله فهذا أمر مخالف للنقل والعقل والفطرة والواقع؛ بل ولكل الأديان السماوية والأرضية.

* ثم نقول: إنه ليس لأحد حجة على الله تعالى، فإنه أرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع وميّز الحق من الباطل، ثم هو لم يؤاخذ الصغير ولا المجنون ولا المكره وإنما يؤاخذ الكبير العاقل المختار، وهذا من رحمته سبحانه بعباده أنه بهم رؤوف رحيم.

وهذه مقتطفات من كلام ابن تيمية رحمه الله تبين شيئاً مما ذكرناه وبالله التوفيق:

يقول: "والناس في الشرع والقدر على أربعة أنواع: فشر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره، يستند إليه في الذنوب والمعائب ولا يطمئن إليه في المصائب كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري أيّ مذهب وافق هواك تمذهبت به" [1].

"ولو كان -أي القدر- حجة على الذنب لكانت حجة لإبليس عدو آدم، وحجة لفرعون عدو موسى، وحجة لكل كافر وفاجر وبطل أمر الله ونهيه" [2].

"وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر، ونفس المحتج بالقدر إذا أُعتدي عليه واحتجّ المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بدايه العقول" [3].

"أن هذا يلزم منه أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وعاد وكل من أهلكه الله بذنوبه معذوراً، وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل، وكذلك يلزم عليه أن لا يُفرّق بين أولياء الله وأعداء الله، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا أهل الجنة وأهل النار" [4].

"ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش والمظالم لم يَحسُن أن يلوم أحدٌ أحداً ولا يُعاقب أحدٌ أحداً فكان للإنسان أن يفعل في دم غيره وماله وأهله ما يشتهيه من المظالم والقبائح ويحتج بأن ذلك مقدّر

---

(1) مجموع الفتاوى: (١٠٧/٨).

(2) المصدر السابق: (١٠٨/٨).

(3) المصدر السابق: (١٧٩/٨).

(4) المصدر السابق: (٢٦٣/٨-٢٦٤) بتصرف يسير.

عليه" [1].

* أما احتجاجهم بقصة محاجة آدم وموسى عليهما السلام فلا يُسلَّم لهم بذلك إذ للعلماء في ذلك توجيهات[2] أهمها ما يأتي :

يقول الإمام النووي رحمه الله : "ومعنى كلام آدم: أنك يا موسى تعلم قبل أن أُخلق ، وقدّر عليّ ، فلا بد من وقوعه، ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر فلِمَ تلومني على ذلك؟! ولأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي، وإذ تاب الله على آدم وغفر له زال عنه اللوم فمن لامه كان محجوباً بالشرع فإن قيل: فالعاصي منّا لو قال: هذه المعصية قدّرها الله عليه لم يسقط عليه اللوم والعقوبة بذلك وإن كان صادقاً فيما قاله، فالجواب أن هذا العاصي باقٍ في دار التكليف جارٍ عليه أحكام المكلّفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل وهو محتاج إلى الزجر ما لم يَمُتْ، فأما آدم فميّت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة إلى الزجر فلم يكن في القول المذكور له فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل والله أعلم" [3].

ويلخص ابن حجر رحمه الله كلامه فيقول: "إن التائب لا يُلام على ما تيب عليه منه ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف" [4].

- وأما ابن القيم رحمه الله فقد ذكر توجيهات العلماء وتعقّبها ومما تعقّب القولين السابقين وملخص ما قاله: أنه إنما حجّه لأنه تاب من الذنب فهذا وإن كان أقرب مما قبله إلا أنه لا يصح من عدة وجوه : منها: أن الحديث ليس فيه أن موسى عليه السلام لامه على الذنب وإنما فيه قوله: « أنت أبونا خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة » . ومنها: أن موسى عليه السلام أعرف بالله تعالى وبأمره ودينه من أن يلوم

---

(1) منهاج السنة النبوية: (٣/٢٣).

(2) كان للعلماء -رحمهم الله- كلام كثير حول هذا الحديث وتوجيه معناه، حتى أن ابن حجر في الفتح أوصل أقوال العلماء إلى أكثر من عشرة أقوال، وللاستزادة في هذه المسألة ينظر: معالم السنن للخطابي: (٤/٢٩٧-٢٩٨)، منهاج السنة، لابن تيمية: (٣/٢٣، ٢٥، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١)، ومجموع الفتاوى: (٨/٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢)، وشفاء العليل، لابن القيم: (١٣-١٩)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي: (١٣٥-١٣٦)، وفتح الباري، لابن حجر: (١١/٥٠٥-٥١٢)، والقضاء والقدر، لعبدالرحمن المحمود: ص(٤٠٧-٤٢٣، ٤٣٠-٤٣٤).

(3) شرح صحيح مسلم: (١٦/١٥٤) .

(4) فتح الباري: (١١/٥١١) .

آدم على ذنب قد أخبره سبحانه أن قد تاب على صاحبه واجتباه بعده وهداه .

أما من قال أنه إنما حجّه لأنه ليس في دار التكليف ففاسد من وجهين: أحدهما: أن آدم عليه السلام لم يقل له لُمْتَني في غير دار التكليف.

الثاني: أن الله تعالى يلوم الملومين من عباده من غير دار التكليف فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة.

ثم قال رحمه الله : " بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار البلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم فذكر الخطيئة تنبيهاً على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية ولهذا قال لها: « أخرجتنا ونفسك من الجنة » وفي لفظ: « خيّبتنا » ، فاحتجّ آدم بالقدر على المصيبة وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب .. هذا جواب شيخنا رحمه الله " [1].

ويلخص ابن أبي العز الحنفي رحمه الله هذا القول فيقول : " وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب" [2].

وعليه فالحديث ليس وارداً في الاحتجاج بالقدر على المعصية وإنما هو في الاحتجاج به على المصيبة [3].

• وهنا مسألة مهمة وهي أنه قد يقال: يقول أهل السنة أن المعاصي واقعة بقدر الله فكيف يقدّر الله على عبد المعصية ثم يعاقبه عليها؟!

يجيب عن هذه الشبهة ابن القيم رحمه الله فيقول: "والله سبحانه قد علم من قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملون وما هم إليه صائرون ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليُظهر معلومه الذي علمه ، فيهم كما علمه وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه فاستحقوا المدح والذم

---

(1) شفاء العليل: ص(١٤، ١٨)، ويقصد بشيخه: ابن تيمية رحمه الله ، وقد ذكر ذلك في مجموع الفتاوى: (٣/١٠٨، ٣١٩، ٣٣٣).

(2) شرح القصيدة الطحاوية: ص(١٣٦) .

(3) لابن القيم رحمه الله كلام جميل في هذه المسألة في متى يصح الاحتجاج بالقدر ومتى لا يصح. انظر: شفاء العليل: ص(١٨) .

والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل أن يعملوها فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه إعذاراً إليهم وإقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم حصل العقاب على معلومه الذي أظهره الإبتلاء والإختبار"[1].

فالله سبحانه لم يعاقبهم بعلمه السابق أنهم سيعصونه وإنما عاقبهم على عمل قد عملوه باختيارهم وإرادتهم، يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[2].

والواجب على الإنسان الصبر عند المصائب والاستغفار عند الذنوب والمعائب يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : "فما قُدّر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضى بالله رباً ، وأما الذنوب فليس للعبد أن يُذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب. فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾[4] "[5].

وهؤلاء كما يقول ابن تيمية هم خير الخلق[6].

ويَحْسُن بالمرء أن يحتج بالقدر على المصائب لقوله ﷺ : ((... احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل))[7].

وينقل ابن تيمية رحمه الله مقارنة بين اثنين أذنبا، أما أحدهما: فاستغفر ربه فغفر له وتاب عليه وهدى، وأما الآخر: فاحتج بالقدر فطرده الله من رحمته، فيقول في ذلك: "ولهذا قال بعض

---

(1) شفاء العليل: ص(٣٥)، ولابن تيمية في مجموع الفتاوى قصيدة رائعة رد بها على ذمي أرسل إليه بقصيدة يعترض فيها على القدر وكيف أنه الله قدر عليه الكفر ثم يعاقبه عليها. انظر: القصيدتين: (٨/٢٤٥-٢٥٥) .

(2) سورة الإسراء: (١٥) .

(3) سورة غافر: (٥٥) .

(4) سورة آل عمران: (١٢٠) .

(5) شرح العقيدة الطحاوية: ص(١٣٦) .

(6) كما في مجموع الفتاوى: (٨/١٠٧) .

(7) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب: الإيمان للقدر والإذعان له: (١٦/١٦٤) برقم (٢٦٦٤).

الشيوخ: اثنان أذنبا ذنباً: آدم وإبليس، فآدم تاب فتاب الله عليه، واجتباه وهداه. وإبليس أصرّ واحتج بالقدر فمن تاب من ذنبه أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس" [1].

* وختاماً:

فإن الله تعالى غني عنا ولا يحتاج إلينا ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [2]، لا تنفعه طاعتنا ولا تضره معصيتنا[3]، إذن فما الحكمة من خلق الشرور وتقدير المصائب والحروب والأمراض والكروب؟.

فنقول: ابتداءً ما طبيعة علاقتنا بالله تعالى؟ فنقول: إنها ليست علاقة عداء أو قهر أو تسلط حاشا وكلا إنما هي علاقة عبد بسيده ومخلوق بخالقه ومرزوق برازقه ومملوك بمالكه وعلاقة الفقير بالغني والذليل بالعزيز والضعيف بالقوي، فالله هو ربنا وخالقنا ورازقنا والمنعم علينا والمحسن إلينا، أطعم من جوع وأروى من ظمأ وكسا من عري وأغنى من فقر وهدى من ضلالة، فله الحمد والشكر والثناء الحسن.

أما ابتلاؤه سبحانه لنا فقد يكون عقوبة على تقصيرنا في حقه سبحانه ، وذلك إما على واجبات تركناها أو معاصٍ ارتكبناها ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ [4].

وقد يبتلي ليرفع الدرجات ويزيد الحسنات ويكفّر السيئات، كما قال عز من قائل: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[5]

وقد يبتلي ليردّ الشارد وينبه الغافل ويدني النائي ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ

---

(1) منهاج السنة النبوية: (٣/٢٧) .

(2) سورة إبراهيم: (٨) .

(3) ورد بمعناه حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم: (١٦/١٠٢) برقم (٢٥٧٧).

(4) سورة النساء: (٧٩) .

(5) سورة البقرة: (١٥٥-١٥٧) .

وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [1].

وقد يبتلي ليميز الخبيث من الطيب وليمحص ما في الصدور ويخرج ما في النفوس ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [2].

وقد يبتلي وقد يبتلي .. وكلها أيام ثم نرحل عن هذه الدنيا التي لهوانها عند الله لم يجعلها داراً لأوليائه وإنما جعلها جنة لأعدائه ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ [3]، ووصفهم أنهم ﴿ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [4]؛ لأنهم هانوا عليه فعصوه ولو عزّوا عليهم لعصمهم، أما أحبابه وأولياءه فيبتليهم ويمحّصهم ليزيل ما علق بهم من شوائب الدنيا وعلائقها حتى إذا قدموا عليه قدموا وهم أصفياء أنقياء .

لم يرض لهم هذه الدنيا الحقيرة أن تكون جزاءًا لهم وثواباً، ولم يرض لهم سوى جنة عرضها السموات والأرض ،رضي لهم الخلود في دار كرامته ومستقر رحمته، يقول ﷻ : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ * أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾ [5]. والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة الأنعام: (٤٢-٤٣) .

(2) سورة آل عمران: (١٧٩) .

(3) سورة محمد: (١٢) .

(4) سورة إبراهيم: (٣) .

(5) سورة القصص: (٦٠-٦١) .

الموضوع الثالث: اليوم الآخر[1]:

أولاً: الأجل :

يجب الإيمان بأن الإنسان وسائر الحيوانات، والجن والملائكة لا يموت أحد منهم حتى يتم أجله الذي قدره الله له سواء مات حتف أنفه، أم مات مقتولاً بأي سبب من الأسباب.

قال تعالى:{لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} [يونس: ٤٩].

والأمة تشمل الأمة الإنسانية وغيرها.

قال تعالى:{وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم} [الأنعام: ٣٨].

وملك الموت هو الذي يقبض الأرواح بأمر الله تعالى، وله أعوان من الملائكة الكرام كما سبق ذكره، وعند الاحتضار (خروج الروح) يرى المحتضر الملائكة الذين يقبضون روحه ويعرف مصيره إن كان إلى الجنة أو إلى النار.

قال تعالى:{الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون} [النحل: ٣٢].

وقال تعالى:{ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون} [الأنعام: ٩٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب. اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. قال: فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج ثم يزج بها إلى السماء – فيستفتح – لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان. فيقولون: مرحباً بالنفس الطيبة

([1])هذا الموضوع كله مأخوذ من كتاب تبسيط العقائد الإسلامية لحسن محمد أيوب (ت ١٤٢٩هـ)ص٢٠٩-٢٣٨ .

كانت في الجسد الطيب. ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل.

وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يُعرج بها إلى السماء فيستفتح لها. فيقال من هذا؟ فيقال فلان. فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء. فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر ... إلى آخر الحديث. رواه ابن ماجه. قال في التنقيح: ورجاله رجال الصحيح. قال ولحديث أبي هريرة هذا ألفاظ عند أحمد ومسلم وابن ماجه وابن حبان.

ثانياً: سؤال القبر ونعيمه وعذابه:

يجب الإيمان بأن أول ما يترل بالميت بعد موته سؤال الملكين في القبر بأن يرد الله عليه روحه وسمعه وبصره ثم يسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه فإما أن ينعم أو يعذب حسب إجابته أن سوئها. وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة صحيحة بلغت حد الشهرة والتواتر المعنوي، منها: حديث عثمان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: "استغروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل" اخرجه أبو داود والبزار والدارقطني والبيهقي والحاكم وصححه. ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر"، أخرجه أحمد ومسلم والنسائي.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ويفسح له من قبره سبعون ذرعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون. وأما الكافر أو المنافق فيقال

له، ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري إني كنت أقول ما يقول الناس. فيقال له: لا دريت ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه" أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي واللفظ للبخاري.

هذا: والمنعَّم والمعذَّب عند أهل السنة الجسد والروح جميعاً.

ومما تقدم يستفاد أن لأهل القبور حياة يدركون بها أثر النعيم والعذاب، ولو تفتتت أجسادهم.

وأما كيفية تنعيمهم أو تعذيبهم فأمرها غيبي لا نعرف حقيقته. وحال الميت في ذلك كحال النائم يرى الملاذ والمؤلمات ولا يرى من بجواره شيئاً.

ويسأل من غرق أو أحرق أو أكله سبع بكيفية يعلمها الله تعالى. هذا، ولا يسأل الأنبياء، والصبيان، والشهداء للأدلة الواردة في ذلك.

ثالثاً: اليوم الآخر:

هو يوم القيامة: وأوله من الموت لحديث هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: أتذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر وتبكي؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه" أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

وقيل: أول اليوم الآخر من النشر (وهو الخروج من القبور). وآخره على القولين دخول أهل الجنة: الجنة، ودخول أهل النار: النار.

ولا يعلم وقت مجيئه إلا الله تعالى. قال تعالى:{يسألك الناس عن الساعة، قل إنما علمها عند الله، وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً} [الأحزاب: ٦٣].

وعن بريدة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل": {إن الله عنده علم الساعة، ويترل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت} [لقمان: ٣٤].أخرجه أحمد بسند صحيح.

والكلام عن اليوم الآخر ينحصر في علامات الساعة مشتملات يوم القيامة وعلامات الساعة نوعان:

أولاً: علامات صغرى

ثانياً: علامات كبرى.

أ)- علامات الساعة الصغرى:

العلامات الصغرى لقرب يوم القيامة كثيرة وردت بها الأحاديث الشريفة، وخلاصتها انتقاض عرى الدين الإسلامي وانتكاس الفطرة الإنسانية. وإليك بعض الأمثلة لها كما جاءت بها الأحاديث النبوية الصحيحة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من أشراط (١) الساعة أن يرفع العلم (أي العلم بالله وبدينه) ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويُشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد" أخرجه السبعة إلا أبا داود وقال الترمذي: حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، (أي تذهب بركة الأيام فتمر بدون الاستفادة المطلوبة منها) وتظهر الفتن، ويكثر الهرج (القتل) حتى يكون فيكم المال فيفيض". أخرجه الشيخان وابن ماجه.

وعنه رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال: "إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال. وكيف إضاعتها؟ قال: إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة". أخرجه البخاري.

وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو

الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود". أخرجه الشيخان وهذا لفظ مسلم. والغرقد بفتح الغين فسكون الراء: نوع من الشجر له شوك عظيم معروف ببلاد بيت المقدس.

وكلام الحجر والشجر يحتمل أن يكون حقيقياً ويحتمل أن يكون كناية عن تمكن المسلمين من اليهود حتى لا يستطيعوا فراراً ولا هرباً.

ب)- العلامات الكبرى:

وأهمها الآيات الآتية:

١ - طلوع الشمس من المغرب:

وهي أول الآيات الكبرى المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي حتى ينتهي بقيام الساعة.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً" أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود ومسلم واللفظ له.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً". أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه.

والمعنى أنه إذا طلعت الشمس من المغرب فإن الإيمان حينئذٍ لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل ذلك. كما لا تنفع التوبة نفساً كانت عاصية قبلها. وهذا بالنسبة لمن طلعت عليه الشمس وهو بالغ مكلف والله أعلم.

وطلوع الشمس من المغرب يكون في يوم ثم تطلع من الشرق كعادتها وإذا طلعت من المغرب غربت في المشرق. وحينئذ يغلق باب التوبة إلى يوم القيامة على القول الراجح بالنسبة لمن طلعت عليهم وهم بالغون لقوله تعالى:{يوم يأتي بعض آيات ربك لا يفنع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً} [الأنعام: ١٥٨].

والمراد ببعض آيات الرب طلوع الشمس من المغرب كما في الحديث السابق.

٢ - خروج الدابة:

والظاهر أن خروجها يكون في زمن طلوع الشمس من مغربها كما في فتح الباري لابن حجر أخذاً مما سبق. قال تعالى:{وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون} [النمل: ٨٢].

قال ابن كثير: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق.

وهذه الدابة قيل تخرج من مكة وقيل من غيرها. وحين تخرج تكلم الناس وتخبرهم بما هم عليه من إيمان أو كفر، ومن صلاح أو فسق وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم فائدة ذلك. فإن التوبة لا تقبل بالنسبة لمن رآها أو علم بها وهو مكلف. وقد سبق الدليل على إثباتها.

٣ - خروج المسيح:

وسمي المسيح بالحاء على الصحيح، لأنه يمسح الأرض ويقطعها في أربعين يوماً، ولأنه ممسوح نور العين اليمنى، وهو الآية الكبرى المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض. وهو أول هذه الآيات. وقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم وصفاً كافياً لنكون منه على حذر، ولننجو من فتنته. فعن أبي سعيد الخدري قال: "حدثنا النبي حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة. فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر، فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه. فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشدّ بصيرة مني الآن فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلّط عليه" أخرجه أحمد والشيخان واللفظ لمسلم.

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته من الدجال. وإنه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه، فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي تقول: إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه". أخرجه مسلم.

وعن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن مع الدجال إذا خرج ماء ونار، فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء عذب، وأما الذي يرى الناس إنه ماء فنار تحرق. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء بارد عذب". أخرجه الشيخان وأبو داود.

ومن حديث النواس بن سمعان قال: قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوماً. يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم. قلنا يا رسول الله. فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال. لا. اقدُروا له قدره ... الخ. الحديث أحمد ومسلم وابن ماجه، والترمذي. وقال: غريب حسن صحيح.

٤ - نزول المسيح عيسى عليه السلام وقتله الدجال:

دلت السنة على أن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل قرب الساعة، ويقتل الدجال ويحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث. ثم يموت ويصلي عليه المسلمون.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها". ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم:{وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً} [النساء: ١٥٩].أخرجه أحمد والخمسة إلا النسائي.

وعن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين: لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً. فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه. ثم يحكم الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة. ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد

جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً. ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور فيصعق الناس، ثم يترل الله مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: يأيها الناس هلم إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسئولون، ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق" أخرجه أحمد ومسلم. والأحاديث في هذا كثيرة شهيرة صحيحة. قال القاضي عياض: نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك. وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته.

٥ - يأجوج ومأجوج:

قال تعالى:{حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون} [الأنبياء: ٩٦].

قال ابن كثير في تفسيره: إنهم من سلالة آدم عليه السلام، بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث، أي أبي الترك، والترك شرذمة منهم تركوا وراء السد الذي بناه ذو القرنين ... وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية، وأن خروجهم يكون مع وجود عيسى ونزوله، وإليك الدليل:

فعن عبد الرحمن بن جبير بن نقير الحضرمي عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية النخل فقال: غير الدجال أخوفني عليكم فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه شاب جعد قطط ، عينه طافية، وإنه يخرج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وشمالاً - يا عباد الله اثبتوا - قلنا يا رسول الله: ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً. يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا يا رسول الله. فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟؟ قال: لا. اقدروا له قدره، قلنا يا رسول الله: فما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث

استدبرته الريح قال: فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت ذرى وأمده خواصر وأسبغه ضروعاً، ويمر بالحي فيدعوهم فيردون عليه قوله، فتتبعه أموالهم، فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شيء، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل - قال: ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل إليه، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً يديه على أجنحة ملكين، فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقي - قال - فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم عليه السلام أني قد أخرجت عباداً من عبادي لا يدان لك بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج (وهم من كل حدب ينسلون) فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل نغفاً في رقابهم فيصبحون كموت نفس واحدة، فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض بيتاً إلا قد ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البُخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله" قال ابن جابر: فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهيل. قال ابن جابر: فقلت يا أبا يزيد: وأين المهيل؟ قال: مطلع الشمس قال: ويرسل الله مطراً لا يُكنّ منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوماً، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة. ويقال للأرض: أنبتي ثمرك، ودري بركتك، قال: فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقحفها، ويبارك في الرّسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر تكفي الفخذ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت، قال فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم - أو قال مؤمن - ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُمُر وعليهم تقوم الساعة". رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن وقال الترمذي: حسن صحيح. ونكتفي بهذا الحديث مع ما سبق.

٦ - الريح التي تقبض أرواح المؤمنين:

وقد ذكرت الريح في الحديثين السابقين: حديث عروة ابن مسعود، وحديث النواس بن سمعان السالف، فلا داعي لإعادة ذكر الأدلة.

رابعاً: البعث:

وهو إحياء الله الموتى ليلقى كل منهم جزاءه، الذي قدر له من نعيم أو عذاب. قال تعالى:{ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون} [المؤمنون: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى: {ذلك بأن الله هو الحق، وأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور} [الحج: ٦ - ٧].

وقال تعالى: {يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه، والله على كل شيء شهيد} [المجادلة: ٦].

وقال تعالى:{زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير} [التغابن: ٧].

وقال تعالى:{وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} (أي هيّن عليه) [الروم: ١٧].

وقال تعالى:{وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم} [يس: ٧٨ - ٧٩].

وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه". أخرجه مالك، وأحمد، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي بسند صحيح. وهذا البعث مع ثبوته شرعاً بأدلة قطعية فهو يعتبر ضرورة حيوية بالنسبة للإنسان، ولا يتصور عقل عاقل يؤمن بالله تعالى أن ينتهي أمر الخلائق بمجرد موتهم، لأن الله تعالى خلقهم لغاية، وأنزل إليهم الكتب وأرسل الرسل من أجل تحقيق هذه الغاية. فمن الناس من استجاب، ومنهم أعرض، ومن استجاب ضحى بكل شيء في سبيل مرضاة ربه، ومن أعرض فعل بمن استجاب الأفاعيل، وعاث في الأرض فساداً، وظلم العباد، وخرب ودمر، وفسق وفجر، وزرع في الناس أنواع الكفر والفسوق والضلال، فهل يخطر ببال عاقل أن يمر الأمر بدون مجازاة للمحسن على إحسانه وللمسيء على إساءته؟ تعالى الله وتنزه عن ذلك. قال تعالى:{أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون. فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم} [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦].

خامساً: الحشر:

وهو سوق الناس إلى مكان الحساب الذي يجتمع فيه الخلائق، وفيه يحاسبون وتوزن أعمالهم، ويعرف كل مصيره.

قال تعالى:{واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون} [البقرة: ٢٠٣].

وقال تعالى:{وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً} [الكهف: ٤٧].

وقال تعالى:{ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى} [طه: ١٢٤].

وقال تعالى:{ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين} [يونس: ٤٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال: "يأيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا {كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين} ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام. إلا إنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوه بعدك فأقول: كما قال العبد الصالح : {وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ... } إلى قوله: {العزيز الحكيم} قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول: سحقاً، سحقاً". أخرجه أحمد والشيخان والنسائي والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم". قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك". أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه.

سادساً: الحساب:

وهو توقيف الله سبحانه وتعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم أقوالاً وأفعالاً واعتقادات تفصيلاً بعد أخذهم كتبهم. وكيفيته أمر غيبي لم يرد ما يدل عليه. والناس فيه متفاوتون (فمنهم) من يحاسب حساباً يسيراً بأن يعرض عمله عليه فيطلعه الله على سيئاته سراً بحيث لا يطلع عليها أحد، ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة. (ومنهم) من يناقش الحساب. بأن يسأل عن كل جزئية، ويطالب بالعذر والحجة، فلا يجد عذراً ولا حجة فيهلك مع الهالكين ويفتضح بين الخلائق.

قال تعالى:{فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حساباً يسيراً. وينقلب إلى أهله مسروراً. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبوراً. ويصلى سعيراً} [الانشقاق: ٧ .. ١٢].

وقال تعالى:{وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى:{إن إلينا إيابهم. ثم إن علينا حسابهم} [الغاشية: ٢٥ - ٢٦].

وقال تعالى:{والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب} [الرعد: ٤١].

وقال تعالى:{إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً} [النساء: ٤٠].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من نوقش الحساب عذب". فقلت: أليس يقول الله {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً} فقالت: إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك". أخرجه الشيخان والترمذي، وأبو داوود.

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟ " أخرجه الترمذي، وقال حسن صحيح. والطبراني، وأبو نعيم في الحلية.

هذا، واعلم أن سيشهد على العاصي يوم القيامة أحد عشر شاهداً: اللسان، والأيدي، والأرجل، والسمع، والبصر، والجلد، والأرض، والليل، والنهار، والحفظة والكرام، والمال، فضلاً عن الشهداء من الناس.

قال تعالى:{يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون} [النور: ٢٤].

وقال تعالى:{حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون} [فصلت: ٢٠].

وقال تعالى:{وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد} [ق: ٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {يومئذ تحدث أخبارها} فقال: "أتدري ما أخبارها؟ " قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا. قال فهذه أخبارها". أخرجه أحمد، والبغوي، وابن حبان، والترمذي وصححه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: "هل تدرون مم أضحك؟ " قلنا الله ورسوله أعلم. قال: "من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ يقول: بلى، فيقول: إني لا أجيز اليوم على نفسي شاهداً إلا مني فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، والكرام الكاتبين شهوداً فيختم على فيه، ويقول لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل". أخرجه مسلم.

وفي الحديث: "ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه: يا بن آدم أنت خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك شهيد. فاعمل خيراً أشهد لك به غداً، فإني لو مضيت لن تراني أبداً، ويقول الليل مثل ذلك". أخرجه أبو نعيم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذا المال خضرة حلوة، ونعم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيداً عليه يوم القيامة". أخرجه مسلم.

* صحائف الأعمال:

وهي الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا من اعتقادات وأقوال وأفعال، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع فمنكرها كافر. وقد سبقت الأدلة العديدة على ذلك في الحساب وغيره.

وهذه الصحف لا يأخذها الأنبياء والملائكة ومن يدخلون الجنة بغير حساب، لأنهم لا يحاسبون.

سابعاً: الميزان:

هو ذو كفتين ولسان (كالميزان المعهود) توزن فيه أعمال من يحاسب بقدرة الله تعالى دفعة واحدة. والصنج مثاقيل الذر والخردل تحقيقاً لإظهار تمام العدل. وقيل إن حقيقته لا يعلمها إلا الله تعالى.

{ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى:{فأما من ثقلت موازينه. فهو في عيشة راضية. وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية. وما أدراك ماهيه. نار حامية} [القارعة: ٦ - ١١].

وعن الحسن عن عائشة رضي الله عنهما أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت. فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً. عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند الكتاب حين يقال: {هاؤم اقرءوا كتابيه} حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز". أخرجه أبو داوود.

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً

كل سجل مد البصر فيقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله عز وجل: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة له فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لن تظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء ... ". أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب والبيهقي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". أخرجه أحمد، والشيخان، والترمذي.

ومما تقدم يعلم أنه يوزن عمل كل من يحاسب حتى من لا حسنة له، ليزداد خزياً على رؤوس الأشهاد، وبالوزن يظهر العدل في العذاب والعفو عن الآثام.

ثامناً: الصراط:

وهو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، وناس كالجواد، وناس هرولة، وناس حبواً، وناس زحفاً، وناس يتساقطون في النار، وعلى جوانبه كلاليب، لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق (الكلاليب مثل الخطاطيف).

قال تعالى:{وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً} [مريم: ٧١ - ٧٢].

وعن ابن مسعود: الصراط على جهنم مثل حد السيف. فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: "اللهم سلّم سلّم". أخرجه ابن جرير.

وعن السدّي عن مُرّة عن ابن مسعود قال: "يرد الناس جميعاً الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى أن آخرهم مروراً رجل نوره على موضع إبهام قدميه فيتكفأ به الصراط. والصراط دحض مذلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس". الحديث أخرجه ابن حاتم، وذكره ابن كثير وقال: لهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة، وجابر وغيرهم ولشدة الهول حينئذٍ يقول المؤمنون "رب سلّم سلّم".

عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة: "رب سلّم سلّم". أخرجه الترمذي، والحاكم، وصححاه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: {يسعى نورهم بين أيديهم} قال: "على قدر أعمالهم يمرون على الصراط .. منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة". أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير.

تاسعاً: الحوض:

يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضاً يرده الطائعون من أمته، وأن حوض النبي صلى الله عليه وسلم أكبرها وأعظمها. طوله مسيرة شهر، مربع الشكل له ميزابان يصبان فيه من الكوثر. ماؤه أشد بياضاً م اللبن، وأحلى من العسل، كيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ظمأ ألم. ولو دخل النار يعذب بغير العطش. ويكون شربه منه أو من غيره كالتنسيم بعد ذلك لمجرد اللذة، يرده الأخيار وهم المؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم الآخذون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، ويطرد عنه الكفار والمبتدعة في العقيدة وكل من تعامل بالربا أو جار في الأحكام أو أعان ظالماً أو جاوز حداً من حدود الله. وهو ثابت

بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوي. منها حديث ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبداً". أخرجه الشيخان.

وحديث ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني لبِعُقْرِ حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفَضّ عليهم، فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمان، وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يُغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة. أحدهما من ذهب والآخر من ورق". أخرجه أحمد ومسلم والبغوي وفيه، حتى يرفضوا عنه (أي ينصرفوا عنه).

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه ضاحكاً فقيل: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي سورة آنفاً فقرأ: {بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر} فقال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير. وهو حوض عرد عليه أمتي يوم القيامة. آنيته عدد نجوم السماء. فيختلج العبد منهم فأقول: ربي إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك". أخرجه الشيخان.

(فائدة) صحح الغزالي أن الحوض قبل الصراط وكذا القرطبي وقال: المعنى يقتضيه. فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً. فناسب تقديم الحوض، وأيضاً فإنه من جاز الصراط لا يتأتى طرده عن الحوض فقد كلمت نجاته (ورجح) القاضي عياض أنه بعد الصراط، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار. ويؤيده من جهة المعنى أن الصراط يسقط منه من يسقط من المؤمنين، ويخدش فيه من يخدش ووقوع ذلك للمؤمن بعد شربه من الحوض بعيد فناسب تقديم الصراط حتى إذا خلص من خلص شرب من الحوض. وقيل: يشهد له ما تقدم من أن للحوض ميزابين يصبان فيه من الكوثر. ولو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين وصول ماء الكوثر إليه. ولكن وصول ذلك ممكن. والله على كل شيء قدير ويمكن الجمع بأن يكون الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم. وبعده لآخرين بسبب ما عليهم من ذنوب، فيؤخرون حتى يطهروا من الذنوب بالعذاب في النار.

هذا ولم يقم دليل صريح على شيء مما يذكر. فالواجب اعتقاده هو أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضاً تعدد أو اتحد، تقدم على الصراط أو تأخر. ولا يضرنا جهل ذلك، والله الموفق.

عاشراً: الشفاعة:

وهي لغة الوسيلة والطلب. وعرفاً سؤال الخير للغير، وهي تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين.

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء". أخرجه ابن ماجه، وهو حسن.

يشفع كل لأهل الكبائر على قدر منزلته عند الله تعالى.

والنبي محمد ﷺ أول من يفتح باب الشفاعة حين يشفع في فصل القضاء. وهي الشفاعة العظمى المختصة به، والتي يغبطه عليها الأولون والآخرون، وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى:{عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً} [الإسراء: ٧٩].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود في الآية فقال: "هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي". أخرجه أحمد والترمذي والبيهقي في الدلائل.

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن. فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول: لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة. فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم". أخرجه البخاري وابن جرير.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي". أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان وأبو داوود والترمذي وقال: حديث غريب.

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع". أخرجه مسلم وأبو داوود.

* والشفاعة خمسة أنواع:

١ - الشفاعة في فصل القضاء لإراحة الخلق جميعاً مسلمهم وكافرهم من طول الموقف وأهواله. وهي مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم. وتسمى الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود المذكور في الآية.

٢ - الشفاعة في إدخال فريق الجنة بغير حساب. وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم، أيضاً.

٣ - الشفاعة في زيادة الدرجات: وهذه ليست خاصة بالنبي إجماعاً.

وهذه الأنواع الثلاثة لم يخالف فيها أحد من علماء التوحيد.

٤ - الشفاعة في مرتكب الكبيرة المستحق دخول النار قبل أن يدخلها.

٥ - الشفاعة في إخراج مرتكب الكبيرة من النار.

وهذان النوعان أنكرهما المعتزلة والخوارج، وكل من قال: إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، وأثبتها الأشاعرة والماتريدية وأهل السنة لوجود الأدلة في ذلك، وقد مر بعضها وهناك شفاعات أخرى داخلة تحت ما ذكر.

حادي عشر: النار:

وهي دار العذاب والعقاب أعدها الله للكافرين والعصاة وثبتت بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة، لها سبعة أبواب لكل باب جزء مقسوم. والعذاب فيها مختلف الأنواع والأقسام وهي موجودة الآن باقية لا تفنى، والكفار فيها مخلدون.

قال تعالى:{لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها}.

وقال تعالى:{فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين} [البقرة: ٢٤].

وقال تعالى:{إن أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهال يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً} [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: {فالذين كفروا قطعت لهم ثيابٌ من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم. يصهر به ما في بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍ أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق} [الحج: ١٩ - ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ناركم هذه التي توقدون فيها جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم". قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: "فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً كلهم مثل حرها". أخرجه أحمد والشيخان والترمذي وقال حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تخرج عنق من النار يوم القيامة، لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين". أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه؟ ". أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم والترمذي وقال: حسن صحيح.

واعلم أنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد ولو ارتكب الكبائر، أما من مات على الشرك والكفر فإنه لا يخرج منها أبداً ، قال تعالى:{إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨].

وقال تعالى:{إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية} [البينة: ٦].

فأهل الكبائر: من مات منهم قبل التوبة يدخله الله النار ليصلى جزاء ما فعل ثم تكون نهايته ومأواه الجنة إلا أن يغفر الله له فيدخله الجنة بدون سابق عذاب.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرّة من

خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير". أخرجه أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح.

ثاني عشر: الجنة:

وهي لغة البستان. والمراد هنا دار الثواب والنعيم المقيم التي أعدها الله للمؤمنين. فيها الحور العين، والولدان المخلدون، ولحم طير مما يشتهون، وأنهار من الماء العذب والعسل المصفى، واللبن الذي لم يتغير طعمه، والخمر التي فيها لذة للشاربين، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أهلها إخوان على سرر متقابلين، نزع الله ما في قلوبهم من غلّ فصاروا أحبة متمتعين، تحيتهم فيها سلام، ونعيمهم دائم في دار السلام.

وللجنة ثمانية أبواب، وهي أنواع وأقسام ودرجات، أعلاها جنة الفردوس، وأقل الناس في الجنة له من النعيم ما يعدل الدنيا وسبعة أمثالها معها، لا يلقى أهلها موتاً ولا يقربهم فناء، وهي موجودة الآن في مكان يعلمه الله وحده كما يعلم وحده مكان النار.

دل على ذلك كله الكتاب والسنة وإجماع الأئمة.

قال تعالى:{وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين} [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى:{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً. خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً} [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

وقال تعالى:{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه} [البينة: ٧ - ٨].

وقال تعالى:{إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر} [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وقال تعالى:{مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها أنهارٌ من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسلٍ مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، ومغفرة من ربهم، كمن هو خالد في النار، وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم} [محمد: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر". قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} أخرجه السبعة إلا أبا داوود. وعنه قال: قلت يا رسول الله: الجنة ما بناؤها؟ قال: "لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبؤس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم". (الحديث) أخرجه أحمد والدارمي والبزار وابن حبان والترمذي.

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألُوَّة ، أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء" أخرجه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه.

* رؤية الله تعالى:

تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأمة على رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، قال تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة} [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وقال تعالى:{كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} [المطففين: ١٥].

وقال جرير بن عبد الله: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال: "إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا". ثم قرأ:{وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب} [ق: ٣٩].

وعن صهيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: "تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} أخرجه مسلم والأربعة إلا أبا داوود.

وأما رؤيته تعالى في الدنيا فهي ممكنة: ولذلك طلبها سيدنا موسى عليه السلام فعلق الله حصولها له على استقرار الجبل حين يتجلى الله تعالى له ولم يستقر الجبل حينئذٍ، ولم تحصل له عليه السلام مع إمكانها كما أشير إلى ذلك بقوله تعالى:{قال رب أرني أنظر إليك، قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً} [الأعراف: ١٤٣].

الموضوع الرابع: الصحابة[1]:

قد أكثر علماء الإسلام رحمهم الله تعالى من الكلام عن فضائل الصحابة ومنزلتهم وما يجب لهم من حقوق وواجبات فمنهم من أفرد لهم كتباً مستقلة تتحدث عنهم[2]ومنهم من جعل لهم أبواباً وفصولاً في كتبهم أثناء تقريرهم لمسائل الإعتقاد[3].

---

(1) الكلام عن الصحابة مهم لأمور : أولاً : أن علماء السلف رحمهم الله غالباً ما يذكرون مسائل الصحابة أثناء تقريرهم لمسائل الاعتقاد . ثانياً : أن الصحابة هم نقلة الوحي وأصحاب محمد ﷺ وحفظة سنته فلا بد من معرفة فضلهم وقدرهم ولأن الطعن فيهم طعن في الوحي الذي نقلوه لنا . ثالثاً :الخلاف الذي حصل فيهم وما وقع فيهم من غلو أوجفاء وما ترتب على ذلك من شرك أو تكفير أو تفسيق فكان لابد من بيان الحق في ذلك وتجليته . والله تعالى أعلم .

(2) منها على سبيل المثال : فضائل الصحابة / أحمد بن حنبل ، ومعرفة اللصحابة / لأبي نعم الأصبهاني وأسد الغابة في معرفة الصحابة / ابن الأثيروالاصابة في تميز الصحابة / ابن حجر .وفي مناقب العشرة المبشرين بالجنة كتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة /محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري .

(3) ومن أمثلة ذلك مايلي : المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة / الأحمدي (١ / ٣٩٥ -٣٩٨) والسنة / الخلال (١ / ٢٨٣ – ٢٩٧) و (٢ / ٣٠١ – ٤٨٦) والشريعة / الآجري (٤ / ١٦٣٤ – ٢١١٠)و (٥ / ٢١١٣ – ٢٥١٠) وشرح مذاهب أهل السنة / ابي حفص عمر بن أحمد بن شاهين – الجزء الموجود منه وهو في فضائل بعض الصحابة – والإبانة الصغرى / ابن بطة (٢٨٣ – ٢٩٢) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٧ / ١٣١٠) – ١٤٣٤) و (٨ / ١٤٣٦ – ١٥٣٩) و الرسالة الوافية / الداني (١٣٢ -١٣٤) وعقيدة السلف وأصحاب الحديث / الصابوني (٢٨٧ – ٢٩٤) والاعتقاد / البيهقي (٣٨٥ – = = ٤٧٤) [طبعة إدارة البحوث العلمية] والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (٢ / ٣٩٣ – ٣٩٧) وشرح العقيدة الطحاوية / ابن ابي العز (٦٨٩ – ٧٣٨)ومعارج القبول / الحكمي (٣ / ١٣١١ – ١٤٠٠) . ولم يقتصر الأمر على كتب العقيدة بل ان كثيراً من أهل الحديث أفردوا مسائل الصحابة بأبواب أو فصول في كتبهم ومن أمثلة ذلك ما يأتي : الجامع / معمر بن راشد (١١ / ٥٩ – ٦٥) و(٢٢١ – ٢٤٢) و (٤٢٩ – ٤٣٣) والمصنف / ابن ابي شيبة [كتاب الفضائل] (١٢ / ٥ -٢١١) [وكتاب الجمل] (١٥ / ٢٤٨ – ٣٣٣) وصحيح مسلم [كتاب فضائل الصحابة] (

* والصحابي هو كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام ولو تخللت ذلك ردة [1].

*وقد اختص الله جل وعلا الصحابة رضوان الله عليهم من بين سائر الخلق بأنهم شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ونصرة شريعته وإقامة دينه وإظهار حقه فرضيهم له صحابة فحفظوا عنه ﷺ ما بلّغهم عن ربهم ووعوه وأتقنوه وبلّغوه لمن بعدهم وكانوا أعظم الناس حباً للمصطفى ﷺ وأدباً معه وشفقة عليه ومبادرة لطاعته .

وقد أثنى الله تعالى عليهم فقال عز من قائل ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [2] وأخبر النبي ﷺ أنهم خير الناس و أفضل القرون فقال ((بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه)) [3] .

ولما سئل عليه الصلاة والسلام أي الناس خير ؟ قال : ((القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث)) [4].

وأخبر جل وعلا أنه رضي عنهم فقال سبحانه ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [5] بل وحكم لهم بالجنة فقال جل وعلا ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [6]

---

١٥ / ٥٢٩ – ٥٨٩) و (١٦ / ٥ – ٧٩) والجامع / الترمذي [ابواب الفضائل] (٦ / ٣٧ – ٢٢٥) والسنن / ابن ماجة [المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله](١ / ٣٦ – ٥٨) ، والمستدرك / الحاكم [كتاب معرفة الصحابة](٣/٦١-٦٤٣) (٤/٢-٨٨).

(1) انظر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر / ابن حجر (١٤٩) وانظر كذلك المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة / الأحمدي (١ / ٣٩٤ – ٣٩٥) ومجموع الفتاوى / ابن تيمية (٤ / ٤٦٤ – ٤٦٥) و (٣٥ / ٦٢) وفتح الباري لابن حجر (٧ / ٣ – ٥) .

(2) سورة : الفتح الآية (٢٩).

(3) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب المناقب باب النبي ﷺ (٤ / ١٨٩) برقم (٣٥٥٧) .

(4) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (١٦ / ٧٠) (٢٥٣٦) .

(5) سورة : التوبة الآية (١٠٠) .

(6) سورة : التوبة الآية (٨٨ – ٨٩) .

وقوله ﷺ: ((لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها))[1] .

ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ مبيناً فضل الصحابة وعلو مكانتهم : [إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء][2] .

ويقول عبد الله بن عمر ﷺ: [من كان مستناً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة أبرّها قلوباً وأعمقها علماً وأقلّها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة][3] .

وقد أوجب الله على الخلق محبتهم فقال بعد أن ذكرهم ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[4] .

وقال ﷺ عن الأنصار – وهم أقل مترلة من المهاجرين رضي الله عن الجميع[5] – ((الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله))[6].

وقد حكى بعض الأئمة الإجماع على ذلك[7] .

فينبغي على العبد محبتهم والترضي عنهم والإقتداء بهم واقتفاء أثرهم ومعرفة فضلهم ومترلتهم يقول صالح بن كيسان رحمه الله :[اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ قال ثم قال : نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة فقلت أنا : ليس بسنة فلا أكتبه

---

(1) المصدر السابق باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان (١٦ / ٤٧) (٢٤٩٦) وانظر الإبانة الصغرى / ابن بطة (٢٩٠ – ٢٩٢) .

(2) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٤٩٣) (٣٥ ٩٩) .

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١ / ٣٠٥ – ٣٠٦) .

(4) سورة : الحشر الآية (١٠) .

(5) انظر الرسالة الوافية / الداني (١٣٣) والعقيدة الواسطية / ابن تيمية (٢٣٨) .

(6) أخرجه البخاري في جامعه الصحيح في كتاب مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان (٥ / ٣٢) برقم (٣٧٨٣) .

(7) حكاه ابن ابي زمنين في أصول السنة (٢٦٣ –٢٦٩) .

قال : فكتب ولم أكتب فأنجح وضيّعت] [1] [2].

*والصحابة رضوان الله عليهم متفاوتون في منازلهم ومراتبهم فبعضهم أفضل من بعض يقول المولى جل وعلا ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [3] .

ويقول عليه الصلاة والسلام مخاطباً بعض أصحابه الذين تأخر إسلامهم : ((لا تسبّوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه)) [4] .

وأفضل الصحابة على الإطلاق الخلفاء الراشدون الذين أوصى النبي ﷺ باتباع سنتهم فقال ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ ....)) [5] وهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب رضي الله عن الجميع .

وقد تكلم العلماء كثيراً عن فضائلهم ومناقبهم وخلافتهم [6] .

---

(1) أخرجه معمر بن راشد في الجامع (١١ / ٢٥٨ – ٢٥٩) (٢٠٤٨٧) وأبو نعيم في الحلية (٣ / ٣٦٠ – ٣٦١) والخطيب البغدادي في تقييد العلم (١٠٦ – ١٠٧) .

(2) وانظر أيضاً في فضائلهم سنن ابي داود [كتاب السنة باب فضل الصحابة والنهي عن سبهم] (٥ / ٢٠٨ – ٢١٠) والسنة / ابن ابي عاصم (٢ / ٦١٣ – ٦٢٨) والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (١ / ٢٩٦ – ٣٠٠) و (٢ / ٤٢٦ – ٤٣١) .

وانظر في فضائل آل بيت النبي ﷺ : السنة / ابن ابي عاصم (٢ / ٦٢٨ – ٦٣١) والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (٢ / ٥٢٧) والعقيدة الواسطية / ابن تيمية (٢٤٤ – ٢٤٧) .

وفي فضائل زوجات النبي ﷺ الجامع / معمر باب أزواج النبي ﷺ (١١ / ٤٢٩ – ٤٣٣) وعقيدة السلف وأصحاب الحديث / الصابوني (٢٩٤) والعقيدة الواسطية / ابن تيمية (٢٤٧ – ٢٤٨).

(3) سورة : الحديد الآية (١٠) .

(4) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ ((لو كنت متخذاً خليلاً)) (٥ / ٨) برقم (٣٦٧٣) وأنظر فتح الباري لابن حجر (٧ / ٣٤) .

(5) أخرجه أحمد في المسند – من حيث العرياض بن سارية ﷺ – (٤ / ١٥٦) (١٧١٥٠) وابو داود في السنن – واللفظ له – في كتاب السنة باب لزوم السنة (٥ / ١٩٢ – ١٩٣) (٤٥٩٩) والترمذي في الجامع في أبواب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٤ / ٤٠٨ –٤٠٩) (٢٦٧٦) وقال [حديث حسن صحيح] وابن ماجة في السنن في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهدين (١ / ١٥ – ١٦) (٤٢) .

(6) انظر على سبيل المثال : سنن ابي داود [كتاب السنة في الخلفاء](٥ / ١٩٥ – ٢٠٨) وسنن ابن ماجة [المقدمة باب في اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهدين] (١ / ١٥ – ١٧) والسنة / ابن ابي عاصم (٢ / ٥١٩ –٢١١٠) والسنة الخلال (١ / ٢٨٣ – ٢٩٧) و (٢ / ٣٠١ – ٣٥٤) و (٤١١ – ٤٣١) والشريعة / الآجري (٤ / ١٦٩٥ – ٢١١٠) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٧ / ١٣٤٧ –١٤٦٨) والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (٢ / ٣٤٢ – ٣٩٣) وشرح العقيدة الطحاوية (٦٩٨ – ٧٢٨) .

وفي ابي بكر خاصة انظر المصنف / ابن ابي شيبة [كتاب المغازي] (١٤ / ٥٦٣ – ٥٧٢) والسنن ابي داود [كتاب السنة اسخلاف ابي بكر] (٥ / ٢١٠ – ٢١١) والسنة /عبد الله بن احمد بن حنبل (٢ / ٥٥٣ – ٥٥٧).

وفي عثمان خاصة انظر المصنف / ابن ابي شيبة [كتاب المغازي](١٤ / ٥٨٨ – ٥٩٤) [وكتاب الفتن ما ذكر في عثمان](١٥ / ٢٠٠ – ٢٤٧) .

ونقل كثير من الأئمة الإجماع على تقديمهم على جميع الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً [1] .

وأفضل هؤلاء الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة [2].

يقول عبد الله بن عمر ﷺ : [كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان] [3].

يقول ابن حجر رحمه الله : [تقرر عند أهل السنة قاطبة تقديم علي بعد عثمان] [4] وقد نقل بعض العلماء الإجماع على هذا الترتيب [5].

يقول ابن تيمية رحمه الله : [استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي] [6].

ويقول ابن حجر رحمه الله :[أن الإجماع انعقد بأخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة][7]

وكلام السلف معلوم في عدم تقديم علي على الثلاثة الذين قبله – رضي الله عنهم جميعاً – وأن من قدّمه عليهم فقد أزرى على المهاجرين والأنصار فقد كان الصحابة يفضّلونهم عليه وقد أجمعوا على تقديمهم عليه في الخلافة والبيعة [8].

ولم يثبت أبداً عن النبي ﷺ أنه أوصى بالخلافة لعلي ﷺ ولقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الناس يقولون أن علياً كان وصياً فقالت : [متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري

---

(1) منهم ابن ابي زمنين في أصول السنة (٢٧٠) والداني في الرسالة الوافية (١٣٤) وابن تيمية في الواسطية (٢٤٢ – ٢٤٣) .

(2) انظر تقرير العلماء لذلك في : المسائلو الرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة / الأحمدي (١ / ٣٨٤ – ٣٩٤) وابو داود في سننه في [كتاب السنة في التفضيل] (٥ / ١٩٤ – ١٩٥) والسنة / عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٥٧٤ – ٥٩٢) والسنة / الخلال (٢ / ٣٧١ – ٤١٠) والإبانة الصغرى / ابن بطة (٢٨٣ – ٢٨٨) وأصول السنة / ابن ابي زمنين (٢٧٠ – ٢٧٤) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٨ / ١٤٤٥ – ١٤٥٤) و (١٤٦٩ – ١٤٧٦) وعقيدة السلف وأصحاب الحديث/ الصابوني (٢٨٩ – ٢٩٢) ومجموع الفتاوى (٤ / ٤٢١ – ٤٣٠) وشرح العقيدة الطحاوية (٧٢٦ – ٧٢٨) .

(3) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب فضائل أبي بكر بعد النبي ﷺ (٥ / ٤) برقم (٣٦٥٥) .

(4) فتح الباري لابن حجر (٧ / ٥٨) .

(5) نقله الداني في الرسالة الوافية (١٣٤) .

(6) العقيدة الواسطية (٢٤٢) .

(7) فتح الباري لابن حجر (٧ / ٣٤) .

(8) انظر في ذلك أصول السنة / ابن ابي زمنين (٢٧٠ – ٢٧٤) وطبقات الحنابلة / ابي يعلى (١ / ١٧٣) والواسطية (٢٤٢ – ٢٤٣) ومجموع الفتاوى (٤ / ٤١٤ – ٤١٩) .

أو قالت حجري فلقد انخنث في حجري فما شعرت أنه قد مات فمتى أوصى إليه ؟] [1].

وسئل عبد الله بن أبي اوفى ﷺ هل أوصى النبي ﷺ ؟ فقال : لا فقيل : كيف كتب على الناس الوصية أُمروا بها ولم يوصِ ؟ قال : أوصى بكتاب الله)) [2].

بل إن علي بن أبي طالب ﷺ لما سئل : هل عندكم من شيء مما ليس في القرآن ؟ ومرة سئل هل عندكم شيء مما ليس عند الناس ؟ قال : [والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يُعطى رجل في كتابه وما في هذه الصحيفة قيل وما في الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر] [3].

وأقوال علي ﷺ وأفعاله ومواقفه في اتباع سنن الخلفاء الثلاثة قبله واقتفاء آثارهم ومحبتهم وطاعتهم وتفضيلهم على نفسه كثيرة معلومة وكذلك كان حال أولاده وآل بيته من بعده [4].

ثم يأتي في الفضل بعد هؤلاء الأربعة بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم : الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص و أبو عبيدة عامر بن الجراح وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن زيد رضي الله عنهم وإنما يقال العشرة المبشرون بالجنة مع أن غيرهم قد بُشّر بها لورود خبرهم في حديث واحد [5].

وتقرير العلماء هذا الأمر معلوم مشهور [6]

بل لقد نقل بعض الأئمة الإجماع على ذلك [7]

ثم يأتي بعدهم في الفضل من شهد غزوة بدرمنهم يقول المصطفى ﷺ فيهم ((لعل الله اطلع على

---

(1) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الوصايا باب الوصايا (٤ / ٣) برقم (٢٧٤١) .

(2) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب فضائل القرآن باب الوصية بكتاب الله عز وجل (٦ / ١٩١) برقم (٥٠٢٢) .

(3) المصدر السابق كتاب الديان باب العاقلة (٩ / ١١) برقم (٦٩٠٣) وانظر السنة / عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٥٣٦) وما بعدها وفتح الباري (١٣ / ٢٠٨) .

(4) انظر في تقرير ذلك السنة / عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٥٥٧) وما بعدها و الشريعة / الآجري (٤ / ١٧٧٥ – ١٧٨٧) و (٥ / ٢٣١١ – ٢٣٤٧) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٧ / ١٣٧٢ – ١٣٨٣) والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (٢ / ٣٦٧ – ٣٧٨) والواسطية (٢٤٢ – ٢٤٤) .

(5) أخرجه أحمد في المسند من حديث عبد الرحمن بن عوف (١ / ٢٤٥) (١٦٨٠) وأخرجه أيضاً في كتابه فضائل الصحابة (١ / ٢٨١) (٢٧٨) والترمذي في جامعه في أبواب المناقب باب مناقب عبد الرحمن بن عوف (٦ / ١٠٠) (٣٧٤٧) و (٣٧٤٨) وابن حبان في صحيحه في كتاب مناقب الصحابة ذكر اثبات الجنة لأبي عبيدة بن الجراح (١٥ / ٤٦٣) (٧٠٠٢) والبيهقي في الاعتقاد (٤٠٤ – ٤٠٥) [طبعة إدارة البحوث العلمية] وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (١ / ٧١) (٥٠) .

(6) انظر السنة / ابن ابي عاصم (٢ / ٥٩٦ – ٦١٣) والسنة / الخلال (٢ / ٣٥٥ – ٣٦٩) وشرح السنة / البربهاري (٦٨) والشريعة / الأجري (٥ /٢٢٨٧ – ٢٣٤٧) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٨ / ١٤٨٦ – ١٤٩٨) وعقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (٩٩ – ١٠٠) وشرح العقيدة الطحاوية (٧٢٨ – ٧٣٣) .

(7) نقله الداني في الرسالة الوافية (١٣٣) وابن ابي العز في شرح العقيدة الطحاوية (٧٣٣) وابن حجر في فتح الباري (٧ / ٥٨) .

من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))[1] وفي لفظ آخر ((لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة))[2]

وقد نقل ابن حجر رحمه الله إجماع السلف على ذلك[3] .

ثم يأتي بعدهم في الفضل من شهد بيعة الرضوان ويُسمون أهل الشجرة[4] ، وقد قال النبي ﷺ لهم ((أنتم خير أهل الأرض))[5] وأخبر أنهم لا يدخلون النار فقال عليه الصلاة والسلام : ((لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها)) .

وكذلك من أسلم قبل فتح مكة خير ممن أسلم بعدها يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[6] .

فالصحابة رضوان الله عليهم متفاوتون في فضلهم ومكانتهم وقد جعل الله لكل شيء قدراً .

– ومع تفاضلهم فلا يجوز إفراد أحدهم بلقب معين يُذكر به كلما ذُكر مثل قولنا [عليه السلام] أو [كرّم الله وجهه] أو غيرها وإنما يُرتضى عن الجميع ولا يتجاوز بهم ذلك[7]

* ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما أثنى بذلك ربنا جل وعلا على أقوام يأتون بعد المهاجرين والأنصار يقولون :﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[8] وقال ﷺ ((لاتسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه)) .

---

(1) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب المغازي غزوة الفتح (٥ / ١٤٥) برقم (٤٢٧٤) .

(2) المصدر السابق كتاب الإستئذان باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره (٨ / ٥٧ – ٥٨) برقم (٦٢٥٩). وانظر: سنن الدرامي، كتاب الرقائق، باب فضل أهل بدر (٢ / ٤٠٤) .

(3) فتح الباري لابن حجر (٧ / ٥٨) .

(4) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٧٣٣ – ٧٣٤) وفتح الباري لابن حجر (٧ / ٤٤٣) .

(5) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الغازي باب غزوة الحديبية (٥ / ١٢٣) برقم (٤١٥٤) .

(6) سورة : الحديد الآية (١٠) . وانظر الواسطية (٢٣٨) .

(7) انظر في هذه المسألة الأذكار / النووي (١٣١) ومجموع الفتاوى (٤ / ٤٢٠) و (٤٩٦ – ٤٩٧) وجلاء الافهام / ابن القيم (٣٧٧ – ٣٩٥) وتفسير ابن كثير (٣ / ٤٨١) .

(8) سورة : الحشر الآية (١٠)

وإنما نترضى ونترحم عليهم ونذكر فضائلهم وننشر محاسنهم ونكف عن زلاتهم ولا نذكر أحداً منهم إلا بخير ولا نطعن في أحد منهم بل نذب عنهم وندافع أعراضهم بالحق الذي نعلمه فقد زكاهم الله جل جلاله وزكاهم النبي ﷺ وحكم لهم بالجنفماذا بعد ذلك [1] ؟؟!

ولا يطعن في أحد من اصحاب النبي ﷺ إلا صاحب سوء وهوى ، وسبُّهم أو ذمُّهم محرم ملعون فاعله ويؤدب ويضرب وينكّل به ويُجلد حتى يتوب ويسجن حتى يموت أو يعود عن قوله وقيل أنه يقتل بل قيل بكفره والظاهر أنه إن كان مستحلاً لسبهم فهو كافر وإلا كان فاسقاً وأن من ألّه علياً ﷺ أو زعم أن الصحابة ارتدوا إلا أفراداً منهم أو أنهم فسقوا فهذا لاريب في كفره[2].

* كما يقرر أهل السنة والجماعة وجوب إحسان الظن بهم وحفظ فضائلهم والإعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم والإمساك عما شجر بينهم من القتال يوم الجمل وصفين [3] [4] وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم أو نقصاً فيهم والإستغفار لهم والترضي والترحم عليهم جميعاً كما كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول إذا سئل عن صفين والجمل : [أمر أخرج الله يدي منه لا أدخل لساني فيه] [5]

وقد حكى كثير من أئمة السلف الإجماع على السكوت عما شجر بينهم والكف عن الكلام فيه [6] ومع ذلك فلا نقول أنهم معصومون عن الوقوع في الخطأ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة وإنما نقول أنهم مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون متأولون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك ولم يقصدوا معصية

---

(1) انظر أصول السنة / الحميدي (٤٩-٥١) ، ورد الدرامي على بشر المريسي (٢ / ٦١٧ - ٦٤٤) وشرح السنة / البربهاري (٦٨ - ٦٩) و (١٠٦ - ١٠٧) والواسطية (٢٣٦ - ٢٣٧) .

(2) انظر شرح السنة / البربهاري (١٠٦ - ١٠٧) والشريعة / الآجري (٥ / ٢٤٥٩ - ٢٥١٠) والشفا / القاضي عياض (٢ / ١١٠٦ - ١١١٤) وشرح صحيح مسلم / النووي (١٦ / ٧٢ - ٧٣) والصارم المسلول / ابن تيمية (٥٦٥ - ٥٨٧) .

(3) (موضع بالعراق على شاطيء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس وهي صحراء ذات كدى وأكمات بها كانت الواقعة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عن الجميع وذلك في غرة صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة) انظر : معجم البلدان (٣/٤١٤-٤١٥) ، ومراصد الاطلاع (٢/٨٤٦) ، و الروض المعطار ص(٣٦٣-٣٦٥) ، والمنجد في الأعلام ص(٣٤٣) .

(4) وانظر في تفاصيل هذه الفتنة : تاريخ الطبري (٣/١١-١١٣) ، والكامل ، لابن الأثير (٣/١٧٥-٢٨٦) ، والبداية والنهاية (٧/٢٢٩وما بعدها)

(5) أخرجه الخلال / السنة (٣ / ٤٦١ - ٤٦٢) (٧١٧) وذكره بمعناه قوام السنة في الحجة في بيان المحجة (٢ / ٥٦٣ - ٥٦٩) .

(6) ممن حكاه : ابن بطة في الإبانة الصغرى (٢٩٤ - ٢٩٦) وابن ابي زمنين في أصول السنة (٢٦٣) والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص (٢٩٤) وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة (١ / ٢٥٢) و (٢ / ٥٤٥ - ٥٤٦) والنووي في شرح صحيح مسلم (١٨ / ٣٣٩) وابن تيمية في الواسطية (٢٣٦ - ٢٣٧) و (٢٤٨ - ٢٥٠) وابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٣٤) والحكمي في معارج القبول (٣ / ١٣٩٨ - ١٤٠٠).

ولا محض دنيا فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد وهو معذور فهم دائرون بين الأجر والأجرين .

وإنما اعتقد كل فريق أنه المحق وأن مخالفه باغٍ عليه لذا قاتله على ذلك ، فهم اجتهدوا في ذلك وكانوا أعلم بتأويلها وأهدى سبيلاً ممن جاء بعدهم .

وليُعلم أن كثيراً مما روي في هذه الفتنة كذب مختلق وبعضه ضعيف منقطع لا يصح وبعضه زِيد فيه وأُنقص وبعضه محرّف وبعضه لم يُعرف على وجهه كما أن كثيراً ممن ألف فيها من أهل البدع المتعصبين لفئة على حساب أخرى كما أن كثيراً من رواتها ممن لا يمحصون الروايات ولا ينقدون الأسانيد وإنما يغلب عليهم الإكثار والتخليط .

وأما ما صحّ من تلك الأخبار فهم معذورون فيه ثم ان كان صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب أو أتى بحسنات تمحوه أو غُفر له بفضل سابقته في الإسلام أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو يكون قد ابتلي في الدنيا ببلاء كُفّر به عنه كما أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم – إن صدر – فهم شهود الوحي وحملة السنة ونقلة الشريعة وأصحاب محمد ﷺ وهذا كله في الذنوب التي فعلوها فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد و الخطأ مغفور ؟؟؟

ثم اننا لا نتكلم في هذه المسألة لأنها فتنة ولها ملابسات وأمور لا نعلمها حتى أن بعض كبار الصحابة رضوان الله عليهم كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد إلتبس الامر عليهم فتوقفوا في شأن هذه الحرب واعتزلوها أفإن كان هؤلاء وهم ممن حضرها وعاينها إلتبس عليهم الأمر فتوقفوا أفلا نتوقف نحن ؟؟.

فالواجب علينا الإمساك لعدم العلم اليقيني بها فنمسك إذ أشكل الأمر علينا ونَكِلُ علمه إلى الله .

ثم إن هذا الأمر علم ليس وراءه مصلحة شرعية ولا ينبني عليه حلال ولا حرام بل هو علم يضر ولا ينفع إذ قد يسمعه من لا يفهم حقيقته ولا يعرف ملابساته فيقع في الفتنة فيحمل في نفسه شيئاً على أصحاب رسول الله ﷺ .

ومع ذلك فيرى أهل السنة أن علياً ﷺ كان هو المحق المصيب في قتاله ممن قاتلوه من الصحابة رضي الله عن الجميع [1][1] .

---

(1) انظر في كل ما سبق : المسائل و الرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة / الأحمدي (١ / ٣٩٩ – ٤٠٢) والسنن ابي داود [كتاب السنة باب ترك الفتنة الأولى] (٥ / ٢١١ – ٢١٣

ولبيان فضائل الصحابة الذين شاركوا في تلك الحرب كان كثير من أئمة السلف الذين كتبوا في العقيدة يفردونهم بالذكر فيذكرون فضائلهم ومناقبهم فذكروا فضائل علي وطلحة والزبير وعائشة [٢] وعمار بن ياسر [٣] ومعاوية بن أبي سفيان[٤] وعمرو بن العاص [٥] والحسن والحسين [٦] أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع .

) والسنة / الخلال (٢ / ٤٦٠ – ٤٧٦) وشرح السنة / البربهاري (١٠٣) والشريعة / الآجري (٥ / ٢٤٨٥ – ٢٤٩٤) والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (٢ / ٥٥٣ – ٥٥٧) و (٥٦٣ – ٥٦٤) و (٥٦٩) ، والعواصم من القواصم / القاضي أبو بكر ابن العربي . وشرح صحيح مسلم / النووي (١٥ / ٥٣٠) والواسطية (٢٣٦ – ٢٥٢) ومجموع الفتاوى (٤ / ٤٣١ – ٤٣٤) و (٢٠ / ٣٩٤) و (٣٥ / ٥١) وما بعدها وسير أعلام النبلاء / الذهبي (١٠ / ٩٢ – ٩٣) وشرح العقيدة الطحاوية (٧٢٢ – ٧٢٥) .

(1) من المعلوم أن المقصود بعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة هو عدم الخوض فيها على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات أما العلم بما جرى بشكل عام فلا يدخل في هذا النهي . كما أن هذا النهي ليس على اطلاقه بل يجوز لكن بشروط وضوابط جمعتها من كلام بعض العلماء السلف رحمهم الله تعالى وهذه الشروط والضوابط هي :

١- أن يكون ذلك البحث لمصلحة شرعية أوعلمية مثل بيان الأحكام الشرعية التي ترتبت على تلك الفتنة كأحكام البغاة والخوارج وغيرها أو لبيان الحق في تلك الفتنة والموقف الصحيح من أحداثها أولبيان مواقف الصحابة رضوان الله عليهم منها وتبرئتهم من كثير من التهم التي نسبت إليهم أو لبيان الكذب فيما كُتب فيها من كتب وتصحيح الأغاليط التاريخية التي أُثيرت حول الصحابة والرد على أهل البدع من الروافض أو النواصب الذين استغلوا تلك الأحداث للطعن في الصحابة .

٢- أن تزمن الفتنة في ذلك فلا يفضى ذلك إلى ذم الصحابة أو عيبهم أو تنقصهم أو الطعن فيهم أو سبهم أو التعريض بهم وأن لا يكون هناك فتنة تُخشى على السامع فيفهم غير الحقيقة فيقع في المحذور .

٣- أن يكون ذلك للعلماء وطلبة العلم المحتاجون إلى ذلك ولا يكون لعوام الناس وقد قال ابن مسعود ﷺ [ما أنت بمحدث قوماحديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة] أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١ / ٧٠) .

٤- أن يكون ذلك بشرط الإنصاف وطلب الحق والتجرد وعدم التعصب أو الهوى أو التشفي أو التجني أو التعصب لطائفة بالباطل أو التنقص لطائفة والإنتصار لأخرى . وإنما يكون ذلك بالبحث العلمي المنصف المهتدي بالنصوص الشرعية .

٥- أن يكون ذلك بشرط حسن الظن بهم ومعرفة فضائلهم ومناقبهم ومنزلتهم والاستغفار لهم والترضي عنهم والترحم عليهم .

وهذا هو الذي يفسّر لك كلام بعض أئمة السلف في هذه الفتنة (انظر مثلاً تاريخ الطبري (٤ / ٤٤٢ – ٥٧٦) و (٥ / ٥ – ١٦٥) والعواصم من القواصم / ابن العربي والبداية والنهاية / ابن كثير (٧ / ٢٢٨ – ٣٣٠) وانظر في ذلك رسالة [تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين] محمد أمحزون وغيرها)

وانظر في هذه المسألة :

عقيدة السلف وأصحاب الحديث/ الصابوني (٢٩٤) والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (٢ / ٥٤٥ – ٤٥٦) ومجموع الفتاوى (٤ / ٤٣٢) و (٤٣٤) و (٣٥ / ١٥) سير أعلام النبلاء / الذهبي (١٠ / ٩٢) وفتح الباري لابن حجر (١٣ / ٣٤) ومنهج كتابة التاريخ الإسلامي / محمد صامل السلمي (٢٤٦ – ٢٥٣) .

(2) انظر الشريعة / الآجري (٥ / ٢٣٩٣ – ٢٤٢٨) والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (٢ / ٣٩٧ – ٤٠٢) .

(3) انظر الشريعة /الآجري (٥ / ٢٤٧٩ – ٢٤٨٢) .

(4) انظر السنة / الخلال (٢ / ٤٣١ – ٤٦٠) والشريعة / الآجري (٥ / ٢٤٣١ – ٢٤٧٨) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٨ / ١٥٢٤ – ١٥٣٩) والحجة في بيان المحجة / قوام السنة (٢ / ٤٠٢ – ٤٠٤) و (٥٧٠ – ٥٧١) .

(5) انظر الشريعة / الاجري (٥ / ٢٤٨٣ – ٢٤٨٤) .

(6) انظر المصدر السابق (٥ / ٢١٣٧ – ٢١٨٤) .

• وقد خالف في الصحابة رضي الله عنهم عدة طوائف حادت عن الطريق وانحرفت عن الجادة فَغَلوا في بعضهم وجفوا في حق الباقين فكانوا طرفي نقيض :

فلقد غلت الرافضة في حق آل البيت وفضّلوا علي بن أبي طالب ﷺ على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بل وصل الأمر ببعضهم انهم ادّعوا فيه الألوهية والعياذ بالله بينما جفوا بقية الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم من كفّر غالبهم ولم يستثن منهم إلا أفراداً قليلين .

وقابلتهم النواصب – ومنهم الخوارج – فقد جفوا في حق آل البيت وغيرهم كمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري –رضي الله عنهم– فكفروهم وعادوهم وآذوهم [1] .

وقد تصدى أئمة الإسلام لهاتين الطائفتين وردّوا عليهم وبينوا المنهج الحق وهو تولي جميع الصحابة والترضي عنهم والثناء عليهم وسلامة الصدر واللسان لهم وذِكْر فضائلهم فيذكرون فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية وعمرو – رضي الله عنهم – رداً على الرافضة .

ويذكرون فضائل علي والحسن والحسين وآل البيت وعمار –رضي الله عنهم– رداً على الناصبة[2].

وهذا هو الحق وسط بين طرفين و حسنة بين سيئتين وفضيلة بين رذيلتين فالواجب التوسط والإعتدال في الحب لهم وعدم الغلو أو الجفاء فيهم [3] .

---

(1) انظر في الخلاف في هذه المسألة : الإختلاف في اللفظ / ابن قتيبة (٥٤ – ٥٦) والواسطية (٢٤٨) ومجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٥ – ٣٥٧) و(٤ / ٤٣٥ – ٤٣٧) وشرح العقيدة الطحاوية (٦٨٩ – ٦٩٧) .

وانظر في أقوال الرافضة : مقالات الإسلاميين / الاشعري (١ / ٦٥ – ١٠٥) والتنبيه والرد / المطلي (٢٩ – ٤٨) و (١٦٥ – ١٧٥) والفرق بين الفرق / عبد القاهر البغدادي (٢٨ – ٢٩) و (٣٩ – ٦٦) والفصل / ابن حزم (٥ / ٣٦) و (٤١ – ٤٣) و (٤٦ – ٤٧) والملل والنحل / الشهر ستاني (١ / ١١٧ – ١٦٢) ودراسات عن الفرق أحمد محمد جلي (٢٣٤ – ٢٣٦) وانظر في مسألة تكفيرهم من عدمها مجموع الفتاوى (٣/٣٥١–٣٥٢) (١٢/٤٨٦) (٢٨/٤٦٨ وما بعدها) .

وانظر في أقوال الخوارج : مقالات الإسلاميين (١ / ١٤١ – ١٤٧) و (١٦٧ – ١٦٨) و (٢٠٤ – ٢٠٧) والتنبيه والرد (٦٢ – ٦٩) والفرق بين الفرق (٧٨ – ٨٦) والملل والنحل (١ / ٩١ – ١٠٠) ودراسات عن الفرق (٦٣) و الخوارج تاريخهم واراؤهم الاعتقادية / غالب عواجي (٤٦٤ – ٤٨١) والخوارج / ناصر العقل (٩٨) .

(2) انظر في الرد على الرافضة : السنة / الخلال (٣ / ٤٨٩ – ٥١٦) والشريعة / الآجري (٥/ ٢٥١١ – ٢٥٣٩) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٨ / ١٥٤٠ – ١٥٥٣) وشرح العقيدة الطحاوية (٧٣٨ – ٧٤٠)

وانظر في الرد على الخوارج السنة / عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٦١٨ – ٦٤٨) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٧ / ١٣٠٣ – ١٣٠٧) .

(3) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة /اللالكائي (٧ / ١٤٧٧ – ١٤٨٥) .

الموضوع الخامس: الإمامة .

الإمامة في اللغة : مصدر أمّ بمعنى قصد يقال أمّه وأمّمه وتأمّمه إذا قصده والإمام ، وكل من يُقتدى به في الأمور ويؤتم به في قوله أو فعله محقاً كان أو مبطلاً والجمع أئمة[1] .

وأما في الاصطلاح فهي : خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به [2] .

• والإمامة أمرها عظيم وتبعتها ثقيلة إذ أن الإمام راع ومسئول عن رعيته ، ومهمته حياطة الشريعة وحفظ الدين بإقامة الشرائع والأحكام وحمل الناس عليه ونشره والدعوة إليه وصياغة الدنيا وفق منهج الله تعالى وجمع الكلمة وعدم الفرقة وقسم المال بين مستحقيه وإقامة العدل ورفع الظلم عن الناس وأمن السبيل إقامة الحدود و معاقبة المعتدين وردّ العدو وحماية بلاد المسلمين وتحصين ثغورهم[3] .

لذا قال أئمة السلف بوجوب تنصيب إمام للمسلمين يحفظ عليهم دينهم ويرعى لهم دنياهم بل قد حكى كثير من الأئمة الإجماع على وجوب ذلك[4].

• وأحق الناس بالإمامة وأولاهم بها قريش [5] وذلك لقول المصطفى ﷺ : " لايزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان " [6] وقوله " إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين " [7][8] .

---

(1) انظر الصحاح / الجوهري ١٨٦٥/٥-١٨٦٦ ومعجم مقاييس اللغة / ابن فارس ٢٧/١-٢٨ ومفردات ألفاظ القرآن / الأصفهاني ص٨٧

(2) هو تعريف ابن خلدون كما في مقدمته ص١٩٠ وانظر الإمامة العظمى / الدميجي ص٣-٤

(3) انظر مجموع الفتاوى ٥٥/٢٠ وفتح الباري ١١٦/٦ و ١٣/١٣ والإمامة العظمى / الدميجي ص٤٦-٨٩

(4) حكاه البربهاري في شرح السنة ص٧٠ والداني في الرسالة الوافية ص١٣٤ وابن حزم في الفصل ١٤٩/٤ والنووي في شرح صحيح مسلم ٥٢٣/١٢-٥٢٤ وابن حجر في الفتح ٢٠٨/١٣

(5) انظر السنن / الدارمي ٣١٥/٢ والسنة / الخلال ٩٤/١-٩٧ وفتح الباري ١١٨/١٣-١١٩

(6) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش ٦٢/٩ حديث رقم (٧١٤٠)

(7) المصدر السابق ٦٢/٩ حديث رقم (٧١٣٩)

(8) انظر في فضائل قريش : الجامع / معمر ٥٤/١١-٥٨ و٦٥ والسنة / ابن أبي عاصم ٦١٨/٢-٦٢٨

وهذا هو قول جمهور العلماء [1] ولقد حكى بعض الأئمة الإجماع على ذلك[2].

• وتنعقد الإمامة بإحدى طرق ثلاث : بالعهد من الإمام إلى من يخلفه وبإختيار أهل الحل والعقد وبطريق القهر والغلبة [3].

• ويرى أهل السنة والجماعة بوجوب طاعة ولاة الأمر وعدم الخروج عليهم وإن جاروا وإن ظلموا ووجوب الصبر عليهم ومناصحتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وأن طاعتهم إنما تجب في المعروف أما في المعصية فلا تجب بل لا تجوز طاعتهم فيها ولا إعانتهم عليها .

فهم يرون أنهم لا يُطاعون في معصية الله ولا يُخرج عليهم ولا يُمنعون حقهم [4]

هذا بإجمال أما تفصيل ذلك فكما يلي :

أما وجوب السمع والطاعة لهم فلقول ربنا تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [5].

ولقوله ﷺ : " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني "[6] وقوله ﷺ : " اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة "[7][8] .

ولقد حكى كثير من الأئمة الإجماع على ذلك [9] .

---

(1) ذكر ذلك ابن حجر في الفتح ١١٨/١٣

(2) حكاه البربهاري في شرح السنة ص٧٠ والداني في الرسالة الوافية ص١٣٤ والنووي في شرح صحيح مسلم ٥١٩/١٢

(3) انظر تفصيل ذلك في الإمامة العظمى / الدميجي ص٩١-١٩٨

(4) انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة /الأحمدي ٣/٢-١٧ وصحيح مسلم ٥١٩/١٢-٥٥٣ و٥/١٣-٦٣ والسنة / أبي داود ٤٢٥/٣ وما بعدها والسنة أبي عاصم ٤٧٢/٢-٥١٩ والسنة / الخلال ٧٣/١-١٣٠ والشريعة / الآجري ٣٧٣/١-٣٨٤ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/ اللالكائي ٧/ ١٢٩٦-١٣٠٢ والإعتقاد / البيهقي ١٢٠-١٢٢ ومجموع الفتاوى ٥/٣٥-١٧ وشرح العقيدة الطحاوية ٥٣٩-٥٤٦ وقد أفرد الشيخ عبدالله الدميجي مسائل الإمامة بكتاب مستقل بعنوان [الإمامة العظمى] بحث فيه غالب مسائلها .

(5) سورة النساء ٥٩

(6) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الأحكام باب قوله تعالى ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ٦١/٩-٦٢ حديث رقم (٧١٣٧)

(7) المصدر السابق باب الأمراء من قريش ٦٢/٩ حديث رقم (٧١٤٢)

(8) انظر الجامع / معمر ٣٢٩/١١-٣٣٥ والسنن / الدارمي ٤١٧/٢-٤١٨ والحجة في بيان المحجة / قوام السنة ٤٣٥/٢ و ٤٣٨-٤٣٩

(9) حكاه البربهاري في شرح السنة ٦٩-٧٠ وابن أبي زمنين في أصول السنة ٢٧٥-٢٧٦ والداني في الرسائل الوافية ١٣٤-١٣٥ وابن بطال في شرح صحيح البخاري ٨/١٠ وقوام السنة في

- كما يرى أهل السنة والجماعة الصلاة خلف ولي الأمر براً كان أو فاجراً وأداء الزكاة لهم والصيام معهم والحج والجهاد معهم [1] وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك [2].

- ويرون وجوب النصح لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ووعظهم وتذكيرهم بالله ودعائهم إلى طاعته وذلك إمتثالاً لأمره ﷺ حيث قال : " الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " [3].

وقد نقل بعض علماء السلف الإجماع على ذلك [4].

- ويرون أن طاعة ولاة الأمر إنما هي في المعروف أما إذا أمروا بمعصية فإنه لا تجب طاعتهم في ذلك بل لا تجوز وذلك لقوله ﷺ : " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " [5] وقوله : " إنما الطاعة في المعروف " [6][7].

وقد حكى بعض الأئمة إجماع العلماء على ذلك [8].

فلا يُطاعون في معصية الله جل وعلا ولا يُعانون عليها ومع ذلك فلا يُخرج عليهم كما سيأتي .

- ويرون تحريم الخروج على ولاة الأمر وينهون عنه وذلك لقوله ﷺ : " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قيل يارسول الله أفلا ننابذهم السيف ؟ فقال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعته "[9] [10].

الحجة في بيان المحجة ٢٥٢/١ وابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ٥٣٤-٥٣٥

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٥٥٥-٥٥٧

(2) حكاه البربهاري في شرح السنة ص٧٠ وابن بطة في الإبانة الصغرى ٣٠٥-٣٠٧ وابن أبي زمنين في أصول السنة ٢٨١-٢٩٢ والداني في الرسالة الوافية ص١٣٥ والصابوني في عقيدة السلف ص٢٩٤ وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة ٢٥٢/١

(3) تقدم تخريجه وانظر الفتح ١٣٨/١ و ١٣/ ٥٢-٥٣

(4) حكاه ابن بطة في الإبانة الصغرى ص٣٠٨ والداني في الرسالة الوافية ص١٣٥

(5) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية ٦٣/٩ حديث رقم (٧١٤٤)

(6) المصدر السابق ٦٣/٩ حديث رقم (٧١٤٥)

(7) انظر الفتح ١١١/١٣-١١٢ وأيضا الجامع / معمر ٣٣٥/١١-٣٣٧ والشريعة /الأجري ٣٨١/١-٣٨٢

(8) حكاه البربهاري في شرح السنة ص٧١ وابن بطة في الإبانة الصغرى ص٣٠٧ والداني في الرسالة الوافية ص١٣٥

(9) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم ٥٥٢/١٢ (١٨٥٥)

(10) انظر تأويل مختلف الحديث /ابن قتيبة ٢٣٢ و ٢٩٦ والشريعة / الأجري ٣٨٥/١-٣٩٧ والحجة في بيان المحجة / قوام السنة ٤١٨/٢-٤٢٠ و ٤٢٦ ومجموع الفتاوى ١٢/٣٥

وقد نقل بعض العلماء الإجماع على ذلك[1]، وإنكار السلف على من خرج على ولاة الأمر[2].

وكل ذلك حفاظ على مصلحة المسلمين العامة من جمع الكلمة ووحدة الصف وعدم شق عصا المسلمين وتحصيلا لمصلحة الجماعة والائتلاف ودرءاً لمفسدة الفرقة والإختلاف .

وكذلك لأن ما يترتب على الخروج من المفاسد أضعاف ما كان حاصلا من جور الحكام وظلمهم ولأن الفتنة الخاصة أهون من الفتنة العامة حيث يعم البلاء وتتقطع السبل وتراق الدماء وتحصل الفتن وتستباح الأموال وتنتهك المحارم

كما إن في الخروج مخالفة للنصوص الشرعية التي جاء فيها الأمربالصبر على ظلم الولاة وجورهم . فالواجب الصبر حتى يستريح بر ويستراح من فاجر .

- ولا يجوز الخروج عليهم إلا حال كفرهم وخروجهم عن الإسلام كما في حديث عبادة بن الصامت ﷺ [دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان] [3] فمتى ارتكبوا الكفر الصراح البواح الظاهر الذي دلت عليه النصوص الصحيحة الصريحة فعندئذ يجوز الخروج عليهم [4].

وقد اشترط بعض العلماء مع الشرط السابق شرطاً آخر وهو القدرة على خلع الحاكم وإبداله بغيره[5]

• وقد وقع في هذه الأمة خلاف كبير في مسألة الإمامة وحادت فيها فرق عن المنهج القويم والصراط المستقيم [6] :

ومابعدها و ٤٧٢/١٤ وفتح الباري ٧/١٣-٨ و ٢٠٣

(1) نقله البربهاري في شرح السنة ص٧٠-٧١ وابن بطة في الإبانة الصغرى ص٣٠٣ -٣٠٥ والداني في الرسالة الوافية ص١٣٥ والصابوني في عقيدة السلف ص٢٩٤ وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة ٢٥٢/١ و ٤٦٦/٢ -٤٦٧ و ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٤٤٤/٤

(2) انظر السنة / الخلال ١٣٠/١-١٤٠

(3) أخرجه البخاري في جامعه في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ " سترون بعدي أمورا تنكرونها " ٤٧/٩ حديث رقم (٧٠٥٥-٧٠٥٦)

(4) انظر فتح الباري ٨/١٣

(5) انظر شرح ابن بطال لصحيح البخاري ٢١٥/٨

(6) انظر التبصير في معالم الدين / الطبري ١٥٤-١٥٩ ومقالات الإسلاميين / الأشعري ٣٩/١-٦٤ والفصل / ابن حزم ١٤٩/٤-١٨٠

فطائفة لم ترَ إمامة الحاكم الجائر ورأت وجوب الخروج عليه[1]

وطائفة أخرى ترى أنه لا إمام ولا جهاد إلا مع إمامهم المزعوم المنتظر وعطّلوا بذلك كل أحكام الإمامة والجهاد لذلك الإمام المكذوب [2] .

وكلاهما على باطل .

- ويرى أهل السنة أن من خرج على الإمام وسلّ سيفه على المسلمين أنهم يُقاتلون كفاً لشرهم وبغيهم لكن لا يُطلبون أو يُطاردون إذا هربوا ولا يُجهز على جريحهم ولا تؤخذ أموالهم ولا يُقتل أسيرهم ولا يُتبع مدبرهم [3] .

هذه بعض مسائل الإمامة والأحكام المتعلقة بها .

****

(1) وهؤلاء هم الخوارج انظر مقالات الإسلاميين / الأشعري ٢٠٤/١ والفرق بين الفرق / البغدادي ص٧٩ والملل والنحل / الشهرستاني ٩١/١-٩٢

(2) وهم الرافضة انظر مقالات الإسلاميين / الأشعري ٨٩/١ ومابعدها والملل و النحل / الشهرستاني ١١٧/١ وشرح العقيدة الطحاوية ٥٥٥-٥٥٦

(3) انظر شرح السنة / البربهاري ص٧١ وانظر كذلك السنة / الخلال ١٤٤/١ ومابعدها والرسالة الوافية / الداني ص١٣٥ وعقيدة السلف / الصابوني ص٢٩٤